شباب محمد صلى الله عليه وسلم

٢٤

دفاع الإسلام

ضد مطاعن التبشير

د. محمد الفاتح مرزوق

دار الاعتصام

هذه الرسالة

لقد برع المبشرون فى نشر اضاليلهم على كل دين غير المسيحية وما نشر من اضاليلهم عن الاسلام ، لايحصر ولا يعد .

وفى هذه الرسالة ، تناول المؤلف بعض مطاعن المبشرين ضد الاسلام ، ورد على هذه المطاعن ، وبين زيفها وخطئها وضعفها .

بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) .

ولله عاقبة الامور .. والله من ورائهم محيط ..

٤٠ قرشا

شباب محمد صلى الله عليه وسلم
رسائل الدعوة

دفاع الإسلام ضد مطاعن التبشير

د. محمد الفاتح مرزوق

دار الاعتصام

دار العلوم للطباعة
القاهرة: ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب
٥٩٣٨ — ١٩٨٢
الرقيم الدولى ٦ — ٢١ — ١٤٢ — ٩٧٧



تصدير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، الذى أرسله ربه بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كلـــه ، ولو كره الكافرون .

أمـــا بعـــــد ...

فيقول الامام الأكبر د . عبد الحليم محمود فى كتــــابه ((أوربا والاسلام)) :

((ان المبشرين قد برعوا فى نشر الأضاليل على كل دين غير المسيحية .. وما نشر من أضاليلهم عن الاســــلام ، لا يحصر ولا يعد ، انها أضاليل تنشر متتابعة متكررة ، تتردد فى صور مختلفة ، وينتهى بها التكرار والترديد الى ايمان من تنشر عليهم بها .. وتبلغ الصفاقة الى أن يعكسوا الحقائق عكسا تاما ، فالدين الاسلامى مثلا ، وهو دين التوحيـــــد الخالص ، ودين التنزيه التام ، يشيعون عنه أنه دين عبـــادة الأوثان !! ..

ويكررون ذلك فى مختلف الأمكنة والأزمنـــــة ، وينتهى

المسيحيون بالاعتقاد ، بأن هذا الدين انما هو : عبـــــادة الأوثان !! (١) .

ويقول الاستاذ الفونس اتين دينيه ، ((ناصر الدين)) الذى اعتنق الاسلام .. يقول فى كتابه ((أشعة خاصة بنور الاســـلام)) :

ان أهل السوء من أهل الكتاب ، لا ينفكون يهاجموننـــا نحن المسلمين بالأباطيل ، ويحاربوننا بالمفتريات .. واذا نحن شئنا أن نحصى أكاذيبهم كانت فيها صفحة هى أســـود الصفحات فى سجل التعصب ، يشترك فى تسويدها ، أعداء الاسلام قديمهم وحديثهم ، سواء منهم العلماء ، والرواد ، والقساوسة ، ورجال الحكومات ، والكتاب ، أمثال بيرون، وبلجران ، وجلادستون ، وبرجليوس ، وقسيس كانتربرى، والأب لامنس ، والـكاتب لـوى برتران سرفييــه ... وغـــيرهم (٢) .

وقد تصدى لهذه الأضاليل ، وفضحها من قبل ، كثير من رجالات الاسلام ، منهم العلامة رحمة الله الهندى فى كتـــابه ((اظهـــار الحق)) ، والاستاذ عباس محمود العقـــاد فى كتابه ((حقائق عن الاسلام وأباطيل خصومه)) ، والاستاذ ناصر الدين ((الفونس ايتين دينيه)) .. وغـــيرهم كثيرون وكثيرون .

---

(١) أوربا والاسلام ص ٣١ و ٣٢ .
(٢) اوربا والاسلام للامام الأكبر د . عبد الحليم محمود ص ٣١ و ٣٢ .

وبالرغم من أن هذه الأباطيل قد فضحت ، وكشف عن زيفها .. الا أن أهل السوء ، لا يملون ولا يكلون ، فيـــأتى الخلف منهم ، ويلوكون بأفواههم ، ما تقيأه أهل السلف منهم من أضاليل ..

وقد وقعت فى يدى عدة نشرات تبشيرية .. بعضـــها طبع فى الخارج ، وبعضها طبع فى الداخل .. وآخر ما وقع فى يدى ، نشرة مصورة ، بتوقيع منسوب الى رئيس لهيئة كافرة ....زعم فيهـــا أن القـــرآن ليس مصـــدره الوحى ، كما زعم أن فى القرآن سلسلة من الأخطـــاء العلميـــة ، والتاريخية واللغوية ، والتشريعيـــة ، والأخلاقيـــة !! .. واستعمل فى كلامه ألفاظا بذيئة هابطة ، لا تمت الى البحث العلمى بأية صلة على الاطلاق .

ومهما كانت قوة الاسلام وصلابته وأصـــالته ، فان الواجب يحتم علينا ، ألا نقف مكتوفى الأيدى أمام هذا العدوان الآثم الرهيب .. فقد تنطلى هذه الأكاذيب والأباطيل على قلة ليس لهم من حصانة العلم والفهم ، ما يعصمهم من هـــذه الأخطاء وهذا الخداع .. فكثيرا ما يخدع ــ من ليست لهم الخبرة والدراية ــ فى النحاس ، فيظنونه ذهبا ، ويدفعون فيه أغلى الأسعار .

والعقيدة لا تقل أهمية عن المـــادة ..

اننا فى صراع رهيب مع أعداء الاسلام وأباطيلهم ... ولابد لرجال الدعوة من موقف ، ومن خطـــة ، ومن عمل .. ضد هؤلاء الضالين .

« يقول استاذى د . عبد الحليم محمود ــ رحمه الله ــ فى مرجعه السابق :

« ان أية دعوة مهما كانت من السـمو ، لا يمكن أن تجتذب اليها الأبصار ، الا اذا كان لها دعاية .. وقد أخذت الدعاية فى العصر الحديث مكانا يجعلها فى الدرجة الأولى من الأهمية .

ويعرف ذلك المسلمون ، يعرفه تجارهم ، ورجـال الأحزاب ويعرفه كل مثقف ، ولكنهم لا يعملون به ، فيمـا يتعلق بنشر الاسلام .

أين دعاتنا فى الشرق أو فى الغرب ؟ أين مبعوثونا ؟ أين الدعـاة منـا ؟

لا شىء من ذلك مطلقا .. ومن المعـروف أن مبعوثى الحكومة ، ومبعوثى الأزهر ، الى الأقطار الخارجية .. انما بعثوا لتعليم الحساب والخط والاملاء واللغـة العربية فى مدارس اسلامية ابتدائية ، أو اعدادية أو ثانوية .. ليس لنا فى الخارج قط مبعوثون .. واذا كان الدين الاسلامى ينتشر ، فانما ينتشر بقوته الذاتية .. رغم الهجوم عليه ، ورغـم العقبات التى تعترض طريقه !! ..

ولنقارن ذلك كله بالارساليات التبشيرية ، ومن أمامها ومن خلفها ، المستشفيات والملاجىء والمدارس ، والمعاهد والمال يغدق .. والوظائف تتهيأ .. ولنتصور كفتى ميزان ، احداهما لا شىء فيها .. وتلك هى كفة المسلمين بالنسـبة

للاسلام .. والأخرى فيها كل شىء ، وتلك هى كفة المسيحيين بالنسبة للمسيحية (١) .

ومن أجل الدعاية للاسلام والدعوة اليه .. قامت جماعة شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. ومن أجل الدعوة الى الاسلام ، فأصدرنا هذه السلسلة من « رسائل الدعوة » .. ومن أجل اعداد رجال للدعوة المباركة ، لا زلنـا نفكر ونخطط ونعمل ، وعلى الله قصد السبيل .

أيها الأخ الكريم ..

فى العدد السابق ٢٤ من هذه السلسلة ، أصدرنا كتاب « وانه لتنزيل رب العـالمين » للآخ الجليـل الأستاذ على عبد العظيم ، أقام فيه الأدلة ، على أن القرآن الكريم وحى من الله .. وهذا ما آمن به الكثيرون من رجال الغرب .

هذا « رينيه جينو » .. بهرته أشعة الاسلام الخالدة ، وغمره ضياؤه الباهر ، فاعتنقه ، وتسمى باسم « الشـيخ عبد الواحد يحيى » ..

كان مفكرا من أعلام المفكرين .. دوى اسمه فى أوربا قاطبة وفى أمريكا .. وكان اسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر الطاهرة .. فاقتدوا به ، واعتنقوا الاسـلام .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣ .

كان سبب اسلامه بسيطا ومنطقيا فى آن واحد !!

أراد أن يعتصم بنص مقدس ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلم يجد — بعد دراسة عميقة — سوى القرآن .. فهو الكتاب الوحيد ، الذى لم ينله التحريف ، ولا التبديل ، لأن الله تكفل بحفظه وحفظه حقيقة ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) .

وتمضي السنون .. ويسلم ((موريس بوكاى)) الطبيب الجراح الفرنسى الشهير .. ثم يعلن أن سبب اسلامه هو نفس السبب الذى أعلنه ((عبد الواحد يحيى)) ، ويخرج كتابه ((التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)) ؟

وأسلم أيضا ((الكونت هنرى دى كاسترو)) الفرنسى الجنسية ..

وأسلم أيضا العالم الانجليزى ((اللورد هيدلى)) والذى كان لاسلامه ضجة كبيرة ، لمركزه ، ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج فى التفكير ، وترو فى الأمور .

وأسلم أيضا العالم النمسوى ((ليوبولد فايس)) الذى تسمى باسم ((محمد أسد)) وألف كتبا من أهمها ((الاسلام فى مفترق الطرق)) .

هذا هو الاسلام ، بعظمته وقوته واصالته .. أقبل عليه حكماء الغرب وكبار مفكريه ، وأعلنوا أنهم ينضمون تحت لوائه .. رغم أنف المكابرين والجاحدين .. ورغم أنف ضلالات وافتراءات الكاذبين والمفترين ..

وفى هذه الرسالة الصغيرة ، نماذج من بهتان وأضاليل الكاذبين من أهل الكتاب ، مما ينشرونه فى وريقات بذيئة .. تبين ما هم عليه من جهل مبين ، وتعصب أعمى .

وقد كتب هذه الرسالة ، أخ فاضل عزيز ، هو الاستاذ محمد الفاتح مرزوق .. وهو ابن من ابناء شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. عرفته يوم كان طالبا بكلية دار العلوم .. وكان مثلا طيبا للشاب المسلم الغيور على دينه .. وكنت أرحب بمقالاته التى كان يكتبها لجريدة ((صوت الاسلام)) ..

لقد أراد الاستاذ ((محمد الفاتح)) أن يوالى المسيرة فى صفوف شباب سيدنا محمد ، فكتب هذه الرسالة القيمة ، بقلمه الشجاع ، وفكره العميق ، وأسلوبه الحلو ، يكشف عن بعض مطاعن التبشير على الاسلام ، ويبين ما فيها من جهل ومغالطات ، ويبن كيف أن هؤلاء المبشرين ، يهرفون بما لا يعرفون .. ((قد خانت قدراتهم من وسائل البحث .. وأنستهم أحقادهم وتعصبهم الأعمى أدوات العلم .. فطعنوا الاسلام، ولا علم لهم بحقائقه .. وتجنوا على اللغة ، ولا دراية لهم بأبجديتها .. وأتهموا التاريخ .. ووقائعه تكذبهم)) .

وكم كنت أود من هؤلاء ، الذين بيوتهم من زجاج ، ألا يرموا بيوت الاخرين بالطوب .. زعموا أنهم أتباع التوراة والانجيل .. فاذا سألتهم أين التوراة التى تتبعونها .. قدموا لك ثلاث نسخ من التوارة .. توارة عزير ، والتوارة السامرية ، والتوراة اليونانية .. وقدموا لك اربعة أناجيل أو تزيد ... انجيل مرقص ، وانجيل متى ، وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا ..

ونحن نؤمن بتوراة واحدة هى توراة موسى ..

ونحن نؤمن بانجيل واحد ، هو انجيل عيسى ..

أما تلك الكتب التى كتبها هؤلاء البشر ، وسموها بأسمائهم ، فليست وحيا من السماء ..

وانني ، اذ أقدم هذه الباكورة الطيبة فى مجال التأليف للآخ الاستاذ محمد الفاتح مرزوق ، أهنئه بها ، وأشكر له غيرته على دينه ، وأدعو الله عز وجل ، أن يجعلها فى ميزان أعماله الصالحة ، ويجزيه خير الجزاء ، وأرجو أن يتبع هذا العمل الطيب بأعمال أخرى ، فى ميدان الدعوة الى الله « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » ..

أما هؤلاء الناعقون والمفترون ، على دين الله .. فلينعقوا كما شاءوا ، وليعووا كما أرادوا ، وليفتروا كما أحبوا .. فان للدعوة الاسلامية رجالا ، يقفون لهم بالمرصاد ... « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه » .. « أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس ، فيمكث فى الأرض » ولله عاقبة الأمور ، والله من ورائهم محيط ..

محمد عطية خميس
رئيس شباب سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هذه سبيلى .. أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » .

فاتحة

هذا بحث أملته على ضرورة النظر المتأمل فى حقائق الأديان ..

ولقد كان لافتا للنظر .. أن نرى كل مطارق الافناء .. تهوى على رأس الاسلام .. منذ آماد وعلى أبعاد .. والاسلام مع كل ذلك كالشوامخ فى مهب الأعاصير .

وفى غمار معركة الاسلام بعظمته ووحدته وغربته .. مع خصوم الاسلام بأحقادهم ومكايدهم وعدتهم وعديدهم .. تتبدى للمؤمن الواعى هذه النتائج بجلاء ..

الأولى : أن خصوم الاسلام صنفان :

محترف .. جعل من القدح فى الاسلام صناعة وبضاعة .. لا غنية له عن المزاعم والتهم الا اذا كان فى غنية عن الرزق والمعيشة .

مخدوع : يخاصم الاسلام على السماع لا على التبين وعلى الاثارة لا على الرزانة .

الثانية : أن خصوم الاسلام يختلفون فيما بينهم على العقيدة ويتفقون جميعهم على النفاذ الى قلب الاسلام ... والاجهاز عليه ما وسعتهم الحيل .

لذلك .. يعمدون الى التسرب الى أفكارنا ، ومناهج تعليمنا وطرائق تربيتنا .. وأجهزة اعلامنا .. ومجالات حياتنا .. ليصنعوا الرأى العام الذى يعيش فيهم ويؤمن بهم .

وكذلك .. يستنزفون دماء الفكر الاسلامى .. فى معارك وهمية فتذهب حرارة القرآن .. وتتبخر ينابيع السنة .. وتضمر المؤسسات الدينية .. ويتقلص كل ظل اسلامى .. حتى تزول المناعة الفكرية .

انهم .. لذلك جادون فى تذويب الفكر الدينى فى أفكارهم فيتحول المسلمون الى قطعان شاردة لا تعرف راعيا .. ولا مرعى ..

يقول أحد هؤلاء المسيو شاتلييه :

« لا شك أن ارساليات التبشير ، تعجز عن نزع العقيدة من المسلمين ، ولن يتم ذلك ، الا ببث أفكارنا فى مظاهر حياتهم ومعتقداتهم ، فتقضى ارساليات التبشير مأربها **.. عندما لا تسمح للاسلام أن ينعزل عنها .. ليحتفظ بكيانه** وقوته **.. فى عزلته »** .

ثم يقرر المبشر شاتلييه :

« ان تنازع المسلمين عن أوضاعهم وخصائصهم الاجتماعية هو الضعف التدريجى للاسلام .. والاضمحلال المنتظر له » .

وتعال قارئى المسلم .. بعيدا عن هذه السطور .. الى الواقع الاسلامى لترى ارهاصات شاتلييه حقائق ملموسة ، ومعالم محسوسة .

*** فتمزيق العالم الاسلامى وايقاد العداوات بين دوله أمر قائم .**

*** واغراق المسلمين فى الشهوات واستدراجهم الى المروق مظهر حاصل .**

*** ومقاومة الفكر الاسلامى بوسائل الاعلام .. ونفوذ الكبار عمل واقع .**

أريد من الغيورين على الاسلام وبيدهم الأمر أن يسألوا أنفسهم .

١ — لماذا الاسلام وحده فى المعترك ؟

٢ — ولماذا يواجه بكل هذه الضراوة الشرسة ؟

والنتيجة الثالثة : أن هؤلاء الخصوم **يهرفون بما لا يعرفون** — قد خلت قدراتهم من وسائل البحث .. أو أنستهم أحقادهم **أدوات العلم** — فطعنوا الاسلام ولا علم لهم بحقائقه — وتجنوا على اللغة ولا دراية لهم بأبجديتها — واتهموا التاريخ .. ووقائعهم **تكذبهم** ..

● يفسر أحـــدهم اسم « أبى بكر » فيقول : انه أبو البكر !! (١) .

● ويفسر ثانيهم قول الحق « وترى الملائكة حافين من حول العرش » . فيقول « بدون أحذية » !!

وبعـــــد :

اذا سألتم : وكيف الخلاص ؟

أقول : ان القرآن بدأ التجربة .. والحياة معتمة ، والأنفاس لاهثة والجهالة غامرة — والضلالة سادرة .. والقرآن هو القرآن .. قادر أن **يعيدها من جديد** — وهو أهون عليه لو وجد الرجال .. الذين تولاهم الحق بندائه : **« وان هذا صراطى .. مستقيما .. فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »** .

فاذا كان المبشرون والمضللون — من قديم كما أنبأ القرآن « ودوا لو تكفرون .. كما كفروا — فتكونون سواء » .. فان هذه الصفحات تأتى تحذيرا وتذكيرا .. **وتأمينا للمؤمنين وقربى الى الله** .. والله من وراء القصد .. وهو نعم المولى ونعم النصير » .

محمد الفاتح

(١) دائرة المعارف البريطانية . راجع أوربا والاسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص ١٣٧ — ومحمد رسول الله لاتين دينيه ترجمة د . عبد الحليم محمود .

مطاعن التبشير

- **مزاعم الأخطاء التاريخية فى القرآن !!** .
- **التضليل فى نعيم الجنة الحسى !!** .
- **افتراءات التخطئة النحوية فى الكتاب !!** .
- **هل بين الآيات تعارض ؟**
- **زيفهم بين المحكم والمتشابه** .
- **هل كانت الهجرة المحمدية هروبا ! ؟** .
- **مطاعنهم فى تعدد زوجات الرسول !!** .
- **فتنتهم فى الصلاة على النبى** .
- **هل تأثر الاسلام باليهودية فى العيد والأضحية** .

مزاعم الأخطاء التاريخية في القرآن الكريم

- عــــاد وثمـــود .
- ابراهيم عليه السلام وحرقه واسم والده .
- الطوفان بين موسى .. ونوح .
- بين المريمين .. ابنة عمران .. وأم المسيح .
- ذو القـــــرنين .

١ ــ حول عــاد وثمود :

يتركز زعم المبشرين فى ثلاث نقاط :

أ ــ عدم ثبوت ما حكاه القرآن عن عــاد وثمــود فى فى التــوراة .

ب ــ نقل القرآن خبر القبيلتين عن صحف ابراهيم .

حـ ــ صحف ابراهيم مزورة لأنها من كتب الصابئة .

وللرد على هــذه المطاعن نقول :

١ ــ التوراة المعاصرة ــ التى يحتكمون اليها باعترافهم انفسهم ــ اشتملت على أسفار زائدة على الوحى .. لذلك .. يسقط الاحتكام اليها .. والتعويل عليها ..

قال القسيس الدكتور فندر فى صفحة ١٥٥ من كتــابه (ميزان الحق) : « وأما من جهة أسفار العهد القــديم ــ زادت عليها الكنيسة الكاثوليكية أسفارا لم تكن مدرجة ضمن التوراة عند المسيحيين الأولين ولا عند اليهود فضلا عن كونها لا توجد فى الأصل العبرانى » .

وتبيانا لقول فندر .. نذكر أن الأسفار المزيدة تسعة .. ثم نؤكد مع المؤلف .. حكم التحريف فى قوله بصفحة ١٤٢ : « وكل يعلم بحكم العقل والنقل عظم جريمة تحريف الكتب الالهية » .

٢ — ان بين يدى التاريخ ثلاث توريات .. والفرق بين اثنين منهما الف سنة !! .

أ — التوراة الحالية .

ب — توراة موسى التى احترقت .

حـ — توراة من املاء عزرا الكاهن بعد موسى بمئات السنين .. (١) .

فأى هذه **التوريات** أحق بالتنزيل .. واحفظ للوحى واجدر بالأحكام ؟

٣ — ولو أجزنا الأحتكام الى التوراة .. فى القضايا التاريخية فانها لا تشتمل على كل أخبار العالم .. فلا تصلح حجة تاريخية قاطعة .

٤ — ثم أين دليل المبشرين — من كتبهم .. أو من التاريخ .. على تزوير صحف ابراهيم .. ونسبتها الى الصابئة ؟

---

(١) تراجع مقدمة « وانه لتنزيل من رب العالمين » للاستاذ محمد عطية خميس للرسالة ٢٤ من هذه المجموعة .

اليس ابراهيم نبيا كالأنبياء .. صاحب رسالة كأى رسالة ، فلماذا لا يكون له منهاجه فى صحفه ؟ .

وما قول المبشرين اذا علموا ان صحف ابراهيم .. أمثال وعظات .. خالية من التاريخ والأحداث .. فكيف ينقل عنها تاريخ أو يعرف عنها احداث ؟ !!

٥ — وما رد المبشرين اذا علموا أن قصة عاد وثمود — عرضها المؤرخون الأقدمون ، وذكرها تاريخ بطليموس ... وأن عاد ارم هى عادر اميت اليونانية
وأن أخبارها محفورة على آثار هيكل مدين التى عثر عليها المؤرخ التشيكى موزيل .؟

٦ — ان عادا وثمود .. من حقائق التاريخ .. ومن أبناء ارم ابن سام بن نوح .

فعاد الأولى منسوبة الى عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح — سكنت ما بين عمان وحضرموت — فى أرض الأحقاف — وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها انيس ولا عمران .

كانت عاد الأولى قوما جبارين — طوال القامة — يعبدون أوثانا ثلاثة : ضراء وضمور والهباء .

فأرسل الله اليهم اخاهم هود بن عبد الله بن رباح ابن الجلود بن عاد بن عوص — يدعوهم الى التوحيد وترك المظالم — فاغتروا بقوتهم وقالوا « من أشد منا قوة ؟ » فأصابهم الله بالقحط .

ولما أحاط بهم القحط — أرسلوا وفودهم الى مكة يستسقون ونزلوا على معاوية بن بكر صهرهم .. الذى أنجبت أخته منهم أبناء كثيرين أقاموا فى مكة مع خالهم معاوية فقيل عنهم عاد الثانية .

٧ — أما قبيلة ثمود .. فهم أبناء ثمود بن عامر بن ارم بن سام سكنوا بالحجر (بكر الحاء المهملة) بين الحجاز والشام الى وادى القرى وعاشوا بعد عاد كثيرى العدد — كافرين بالله .

ويذكر المؤرخون أن مدائن ثمود ظاهرة الى اليوم .. ومعروفة باسم « فج الناقة » .. يقول المسعودى فى « مروج الذهب » :

« ورممهم باقية ، وآثارهم بادية — فى طريق من ورد الشام — وحجر ثمود فى الجنوب الشرقى من أرض مدين — مصاقبة لخليج العقبة » .

ويذكر المؤرخون المحدثون أن ثمود بقية من عاد — وأنها من العماليق الذين طردهم أحمس ملك مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة — وقد حذقوا صناعة النحت ، فنحتوا لهم بيوتا من الصخر .

٨ — ان القرآن وحده — دون الكتب السماوية — هو الذى تفرد بذكر أخبار عاد وثمود ، فذكر مساكنهم وأحوالهم — وجسامة أبدانهم ووفرة نعيمهم — وكفرهم وأوثانهم — وعتوهم فى الأرض .. ثم يؤكد التاريخ القديم والحديث ، وعلم الحفريات والآثار .. صدق ما قال القرآن

ثم بعد هذا لا يصدق أن القرآن وحى من الله .. سبحان الله !! .

٩ — يذكر القرآن أخبار عاد وثمود فى بيئة عربية — كانت تتثبت من تاريخ أسلافها — ويحفظ نسابها أنسابها ورجالها وأيامها ولو كان القرآن قد أخبرهم فى ذلك بغير ما يعلمون ويحفظون .. لاتخذ زعماؤهم ذلك وسيلة للاعتراض والطعن ..

١٠ — فهل يمكن أن نقول لهؤلاء المبشرين : ان مجرد الانكار لا يبطل ثبوت الحقيقة .. وان مجرد الانكار خطأ فى حق العلم عامة وفى حق دينكم خاصة .؟

٢ — ابراهيم — حرقه — واسم أبيه :

وفى أوهام الأخطاء التاريخية المزعومة فى القرآن حول نبى الله ابراهيم يرى المبشرون ..

أ — أن طرح ابراهيم عليه السلام فى النار ، وخروجه منها سالما — خرافة — **يهودية** — ذكرها الاسلام ولم يأت بها **التوراة** .

ب — ان والد ابراهيم يسمى تارح كما جاء فى التوراة ولا يسمى آزر كما ورد فى القرآن .

١ — بعد هذا الادعاء .. فللمبشرين أن يختاروا لادارة المناقشة .. أحد أمرين ..

أولهمـــا : الاقرار بتحريف التوراة ــ كما اعترفوا ــ وعندئذ تبطل دعواهم من أولها الى آخرها .

ثانيهما : الاقرار بنقل التوراة بتمامها عن اليهود ــ كما ذكروا ــ وهنا يلزمهم التصديق بالمنقول عن التوراة .. وتسقط دعواهم فى تحريف أخبارهم .

وبعبارة أخصر وابين ..

كيف يصدق اليهود فى أخبار التوراة ويكذب اليهــود فى قصة ابراهيم ؟

وكيف تكون التوراة زائدة على الوحى وتكون حــــكما لما نزل به الوحى ؟

٢ ــ فلو ارتضينا ــ نزولا مع المبشرين فى الاحتجاج ــ قبول الاحتكام الى التوراة .. وجدناها مملوءة من ذكر كلام الله لابراهيم ، ومن اعطائه وبنيه عهد النبوة .

وهنا تتأكد حقيقة نبوة ابراهيم من التوراة عينها .. فكيف لا يجيز المبشرون وقوع المعجزة من نبى الله ابراهيم ؟

٣ ــ أما فيما يتعلق باسم والد ابراهيم ــ فالواجب العلمى ــ يفرض علينا استيفاء كل الاقــوال .. فى كلمــة « آزر » .. وأصلها اللغوى ــ ومجالهـــا التــاريخى ــ واستعمالها العربى .. ثم مدارستها على نحو علمى دقيق عميق .

أ ــ قال البيضاوى فى ص ١١ بالجزء الثالث من تاج العروس « ان تارح اسمه العلمى ــ وان آزر وصف له بمعنى الناصر المعين ــ لأن آزر من الأزر أى القـــوة والنصر ».

ب ــ يرى علم فقه اللغة أن مادة « آزر » هى فى اللغات السامية ــ التى منها لغة ابراهيم مثل : «عازر» و « عزير » وتفيد فى مدلولها «التقوية والنصرة» .. وأن العين والهمزة يتعاوران على موضــع واحـــد .

جـ ــ ذكر الأستاذ أمين الخولى فى تعقيبه على ما جــاء بدائرة المعارف الاسلامية .. قوله :

« أن آية الأنعام : **(واذ قال ابراهيم لأبيــه آزر ... أتتخذ أصناما آلهة ؟)** قرئت قراءات .. يختلف مع كل قراءة معنى كلمة آزر .

* قرئت « أآزرا » بالنصـــب مع التنوين .. فتكون الهمزة الأولى للاستفهام الانكارى .. وتكون كلمة آزر بمعنى القوة .. ويكون المعنى : « هل لأجل القوة تتخـذ أصناما آلهـــة ؟ » .

* وقرئت « آزر » بالنصب بلا تنوين ــ وبذلك تكون « آزر » صفة لأبيه لا علما عليه ــ أو تكون بدلا من (أبيه) أو عطف بيـــان .

* وقرئت « آزر » بالضم على نداء العلم — وبذلك يحتمل أن يكون آزر اسم أبيه .

د — وقال السيد مرتضى الزبيدى فى ص ١٢ من تاج العروس :

« آزر » اسم صنم — ونصبه على اضمار الفعل كأن القول (واذ قال ابراهيم لأبيه .. أتتخذ آزر الها ؟) أى أتتخذ أصناما آلهة ؟

هـ — ويعقب شيخ العروبة احمد زكى على عبارة تاج العروس فيقول :

« وعلى ذلك لم يذكر والـــد ابراهيم فى القرآن الكريم باسمه العلمى — ومما يستأنس له فى القول بأن آزر اسم اله — اننا نجد فى الالهة القديمة عند المصريين الاله أزوريس ومعناه القوى المعين — والأمم قديما كانت تقلد بعضهـــا فى أســماء الآلهـــة » .

٤ — ورأى آخر .. يرى أن اللغة والعرف يطلقان على عم الانسان الأب .. فلا غرابة وابراهيم تربى فى كنف عمه آزر فكان له بمنزلة أبيه .

٥ — نخلص من هذه الآراء الى :

أ — ان آزر أسم صنم كان يعبده أبو ابراهيم .

ب — أو أن آزر صفة بمعنى القوى النصير ..

حـ — أو أن آزر اسم عمه الذى تولاه ..

وعلى كل هذه الاحتمالات .. تبقى كلمة آزر حقيقة ثابتة على كل الوجوه — ولا يضير القرآن ذكرها — بل تظل حقيقة على اعجاز القرآن وافحامه .

ونعلم قبل هذا وبعده .. أن التعجل فى الانكار شبيه التعجل بالتصديق — وكلاهما براء من دعوة العلم وأمـــانة العلمـــاء .

* * *

٣ — الطوفان بين موسى ونوح :

من مزاعم المبشرين التاريخية :

— ان القرآن أخبر بارسال الطوفان على المصريين ايام موسى فى الآية ١٣٣ من سورة الأعراف .

بينما تعريف كلمة الطوفان بالألف واللام تؤكد انه طوفان نوح المذكور فى الآية ٦٤ من السورة نفسها .

وللرد على هذا الاحتجاج .. وكشف هذا اللبس .. يجب أن نعود الى منطوق الآيتين .. والى دلائل التاريخ .

والآية ٦٤ من الأعراف .. تحدثت عن نبى الله نوح وتعذيب المكذبين به ونجاة أنصاره . فقالت :

« فكذبوه .. فانجيناه والذين معه فى الفلك .. وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا — انهم كانوا قوما عمين » .

والآية ١٣٣ من الأعراف .. تحدثت عن عذاب المكذبين بنبى الله موسى . فقالت :

« فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم .. آيات مفصلات .. فاستكبروا .. وكانوا قوما مجرمين » .

ومن هنا نتبين .. أن الآيتين .. تعنى طوفانين اثنين .. طوفانا للمكذبين بنوح بعد خمسين وتسعمائة سنة — أقامها فيهم يدعوهم ولا يألوهم نصحا .. ونعنى طوفانا آخر للمكذبين بموسى فى مصر من آل فرعون .

— ولم يقطع المفسرون بأن طوفان مصر كان على أى وجه .. وهل كان بطغيان النيل على الأرض .. حتى عاقهم عن الزرع فى الوقت المناسب ؟ أم كان .. كما يرى البيضاوى بتتابع المطر على أرض مصر فى وقت نماء الزرع ثمانية أيام فى ظلمة شديدة حتى أغرق الزرع واضر به ؟

— واذا كانت سورة الأعراف قد عرضت أنباء كثير من الأمم الدارسة فى عبارات بليغة واشارات موجزة — عرضت قصص أنبياء الله آدم ونوح وصالح وهود ولوط وشعيب وموسى ، فان ورود الاشارة الى الطوفانين ليس مدعاة الى الخلط والتلبيس .

— طوفان نوح على مكذبيه .. كان آية من آيات التنكيل الخمسة .. منها الجراد الذى اكل الزرع واجتاح الثمر — والقمل الذى ذكرته التوراة (بعوضا) وقد أقض مضاجعهم — والضفادع التى نغصت عليهم معيشتهم فوقعت

فى آنيتهم وسقطت فى أطعمتهم وفرشهم .. ثم تحول الماء الى دم وقيل سلط الله عليهم الرعاف .

— يقول الأستاذ العقاد :

« لمصلحة التاريخ ينبغى أن ينظر المؤرخ الى القصص الدينية فى أناة وروية ، وعلم باختلاف النسق بين العقائد والأخبار .

« فالمتهجمون على غير وعى وبغير حذر .. لم يلبثوا أن عرفوا الخطأ منهم فى حق التاريخ وحق العقيدة مجتمعين .

« أنكروا الطوفان .. ثم ظهر أنه كان من اثبت الأحداث فى انباء جميع الأمم !!

« وانكروا غواشى النجوم والزلازل — فظهر انها كانت فى أماكنها وفى أزمنتها حيث وصفتها كتب الأديان » .

٤ — الخلط فى اسم مريم

فى شطحات المبشرين التى تتهم القرآن الكريم بالخطأ التاريخى ..

« ان القرآن خلط بين مريم ابنة عمران أخت موسى ومريم العذراء أم المسيح التى قال فيها **« يا أخت هارون »** — وأن بين المريمين قرابة الف وأربعمائة سنة » (١) .

---

(١) المستشرق الانجليزى الفريد جيوم .

١ ــ والباحث عن الحقيقة مجردة من الهوى .. مهما كان من أى دين أو أى جنس ، لايعجزه الرد ، ولايعوزه الدليل، اذا استجمع للبحث عدته اللغوية والتاريخية والعقلية .

ويبدو أن سطوة العاطفة الكارهة للاسلام دفعت الى تصيد التهم ونشر المطاعن دون اكتراث بأصول البحث العلمى من ناحية ودون معرفة بمناعة الاسلام من ناحية أخرى .

٢ ــ فهل يسمح لنا المبشرون أن نسألهم أسئلة ثلاثة :

١ ــ ما مدلول كلمة الأخ فى اللغة العربية ؟

٢ ــ ما مبلغ علمهم من صور التعبير البلاغى ؟

٣ ــ الى من تنتسب السيدة مريم أم المسيح ؟

أما حقائق العلم .. فتجيب قائلة :

● استعمال العربية لكلمة الأخ أو الأخت .. لايعنى فحسب قرابة الدم .. بل يعنى كذلك قرابة الروح وصلة الوجدان وائتلاف الميول .. فقد قالت العرب فى مأثورتها « اخوان الوداد أقرب من اخوة الولاد .. » وقالت : « شد الله بينكما أواخى الاخاء وحل أوارى الرياء » ومن المجاز قولها عن الخير « لقيته بأخى الشر » وقولها عن الشر : « لقيته بأخى الخير » .

● من هنا يتبين فى خطاب القرآن للسيدة مريم .. ومضة بلاغية واشراقة أدبية .. تنم عن ذوق عال وحس مرهف حين قال :

« يا أخت هارون » .

وتفسير ذلك أن السيدة مريم أم المسيح كانت منقطعة للعبادة وخدمة التوراة ــ فكانت عند قومها ــ بمثابة هارون بن عمران الحبر الأعظم عند موسى .

فلما أنكر قومها عليها حملها .. ارادوا أن يقولوا لها .. يا من تتظاهرين بالعبادة ، وتخدعين الناس أنك مثل هارون الحبر الأعظم .. أتأتين السوء ؟!

فعبارة القرآن « يا أخت هارون » مجازية .. لها دلالاتها الايحائية توحى بطهارة مريم من ناحية ، واستهزاء قومها من حالها من ناحية أخرى .

● ثم اليست السيدة مريم أم المسيح من ذرية هارون عرقا ودما ؟ انها لكذلك .. فهى من ذرية « لاوى » ابن يعقوب .

واذا كنا نقول للمنتسب الى تميم « يا أخا تميم » وللمنتسب الى الأزد « يا أخا الأزد » وللعربى «يا أخا العرب» .. أفلانقول لمريم « يا أخت هارون » .

● هذا وجه الحق .. بدلالة اللغة .. ودلالة التاريخ ــ ودلالة النقل والعقل .. ولكن :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم .!!

٥ ــ شبهات حول ذى القرنين :

ان تطاول المهاجمين على الاسلام ــ ليزيدنى ثقة فى عظمة الاسلام ويغرينى بالغوص فى حقائقه ومراميه .. لا لشىء .. الا .. لأن الخطأ الواضح فى مهاجمة الاسلام .. حجــة ــ ناهضة على حصانته المنيعة أمام هجمات المتعجلين .

ومن فرى خصوم الاسلام :

« أن ما ذكره القرآن عن ذى القرنين أنه الاســكندر المقدونى ــ لا أثر له فى تاريخ الملك العظيم » .

وفى سبيل الرد .. نتصفح الآيات من ٨٣ الى ٩٣ فى سورة الكهف فنجدها تكشــف عن شخصية ذى القرنين فى ثلاث رحلات .. وضحت مدى مملكته الى أقصى المغرب والى أقصى المشرق .. ثم الى الشمال ..

فعن رحلته الأولى نتدبر قوله سبحانه لنبيه فى اجابة متحــديه :

« ويسالونك عن ذى القرنين .. قل سأتلوا عليكم منه ذكــرا .

انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء ســـببا ، فاتبع سببا ،

حتى اذا بلغ مغرب الشمس ، وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما ،

قلنا ياذا القرنين ــ اما أن تعذب ، واما أن تتخذ فيهم حسنا ، ... (الخ ٨٨ من سورة الكهف) .

وعن رحلته الثانية نقرأ الآيات من ٨٩ ــ ٩١ من سورة الكهف .

« حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ســترا ،

كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ..

ثم نأتى الى رحلته الثالثة فنقرأ ــ الآيتين ٩٢ ، ٩٣ فى سورة الكهف :

« ثم أتبع سببا » .

حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومــا لا يكادون يفقهون قولا .

وبعد استطلاع هذه الآيات .. هل لنا ان نقــول للطاعنين :

١ ــ أين اسم الاسكندر المقدونى فى هــذه الآيات ؟
والحقيقة أن اسم الاسكندر المقدونى لم يأت فى ســياق الآيات مطلقا .. وانما جاء فى اجتهـــادات المفسرين حول المراد بذى القرنين واليكم بيانها.

١ ــ ذكر الامام الفخر الرازى فى تفسيره ووافقــه

النيسابورى أن ذا القرنين هو الاسكندر الأكبر اليونانى — وأطال فى الاحتجاج مستدلا بأن ملكا كالاسكندر الأكبر بلغت مملكته اقصى المغرب والمشرق والشمال لابد أن يبقى مخلدا فى التاريخ — ثم ذكر أن هذا الملك كان حكيما تتلمذ على سقراط الحكيم خمس سنين وكان على مذهبه .

٢ — وذكر بعض المفسرين .. أن ذا القرنين هو اسكندر الرومى من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، يلقب بذى القرنين .. ويسمى عبد الله بن الضحاك أو مصعب بن عبد الله ، وكان أسود اللون وقد ظهر قبل الاسكندر المقدونى بألفى سنة .

٣ — ومن المفسرين من راى أن ذا القرنين هو أبو كرب ابن عمير بن أفريقس الحميرى من ملوك اليمن القدماء ... وهو الذى افتخر به تبع اليمانى فى قوله :

قد كان ذو القرنين جدى ... مسلما
ملكا علا فى الأرض غير مفند(١)
بلغ المشارق والمغارب يبتغى
أسباب ملك .. من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها
فى عين ذى خلب(٢) وثأط(٣) حرمد

---

(١) غير مفند : غير فاسد العقل مختلط الكلام .
(٢) فى عين ذى خلب أى لا غيث فيه يريد البحر .
(٣) ثأط حمأة .

وعلى هذه الرواية يكون ذو القرنين معاصرا لابراهيم، ومن المؤمنين به ، وأن ملوك اليمن كانت تصدر القابها بقولهم « ذى» مثل ذى يزن وذى اليدين .

٤ — ورابع احتمالات المفسرين أن ذا القرنين ملك من الملائكة أرسله الله فى صورة رجل .. ليمهد سبيل الدعوة لأنبياء الله .

هذه اجتهادات المفسرين ، فلماذا تعلق المبشرون بواحد منها فحسب فى الوقت الذى لم يصرح القرآن باسم ذىالقرنين — اكتفاء بشهرة لقبه ، وسعة مملكته ؟

ان غاية القرآن من الحديث عن ذى القرنين .. ان يخبر بأمور :

١ — افحام الرسول بوحى الله الذين تحدوه من اليهود أو من المشركين .. باخبارهم عن أحداث الماضى السحيق .

٢ — اظهار قدرة الله وتمكينه لعباده فى الأرض مثل ذى القرنين .

٣ — تذكير المؤمنين بيوم البعث ، بعث السابقين واللاحقين وان قضية البعث هى محور ارتكاز سورة الكهف .

وزيادة فى الفائدة .. نذكر أن اليهود بأنفسهم أو المشركين بايعاز من اليهود سألوا رسول الله — تحديا — عن ذى القرنين — عن نبئه وشأنه .

وتدليلا على نبوة الرسول .. أوحى الله اليـــه خبر أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين الذى قال عنه :

* ان الله مكن له فى الأرض وآتاه سلطانا وقوة .

* وأن الله هيأ له سبب الوصول الى بلاد أقصى غرب الجزيرة العربية .

* وفى أقصى غربها وجد منظر الشمس حالة غروبها فى عين خياله كأنها تغرب فى عين ماء مختلطة بالحمأة والطين فتبدو داكنة .

* وفى رأينا أن هذه البلاد ليس بعدها — غـــربا — الا البحر لأن المتطلع الى غروب الشمس يرى لونا قاتما فى أقصى الأفق فيخال أن الشمس تغرب فى البحر .

* ثم أخبر القرآن بأن ذا القرنين — وجـــد فى أقصى المغرب قوما .. يستحقون العذاب أو المغفرة .

* ورحلة ذى القرنين نحو الشرق .. أنزلته بقوم لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا .. وقد يعنى ذلك أن القوم كانوا فى بادية لا ظل فيها أو كانوا عـــراة لا يعرفون ما يقيهم وهج الشمس من الملابس .

* أما رحلة ذى القرنين الثالثة فكانت الى منطقة فى الشمال قريبة من جبلين يتكون من جانبيهما حاجزان لما وراءهما .. وفى هذه المنطقة عاش قوم ، لغتهم غير لغة ذى القرنين،

فلم يفهموا من كلامه اليهم الا يسيرا ولم يستبن من حديثهم الا قليـــلا .

* وقد شكا قوم الشمال هؤلاء الى ذى القرنين جبروت يأجوج ومأجوج بهم ، وطلبوا منه الحمـــاية — فأجابهم ذو القرنين .. بنبأ سد حديدى متين ، وحماهم بلا أجر ، وكفل لهم الأمن بلا جزاء .

* * *

من عرض موقف القرآن من قصـــة ذى القرنين .. نخرج بنتيجتين ظاهرتين :

الأولى : أن خبر القرآن عن ذى القرنين حقيقة صادقة لا محـــالة .

الثانية : أن التوراة قد تضمنت صدق ما أخبر به القرآن عن ذى القرنين .. الأمر الذى دفع اليهـــود الى التحـــدى ثم الاقتنـــاع ... بما اجيبوا به . فليبحث المبشرون عن ذى القرنين فى الأسفار الباقية أو الفـــاقدة أو المزيدة — ان كانوا جادين .

* * *

التضليل التبشيري في نعيم الجنة الحسي

١ — يذهب المبشرون الى أن اخبار الجنة ونعيمها الحسى فى القرآن الكريم من النقائص التى تخرجه من دائرة الكتب السماوية .

واذا سألنا المبشرين دليلا على ما زعموا لاعوزهم الدليل ولزمتهم الحجة .

٢ — نعم نحن نؤمن أولا بأن نعيم الجنة حسى وأن عذاب النار حسى ونؤمن ثانيا بأن كل ذلك ليس من جنس ما هو فى الدنيا بل أعلى وأعظم ، فكأن الفاظ الحس من فاكهة ونخل ورمان .. وأنهار من عسل وأنهار من خمر .. مستعارة من الفاظ الدنيا .. ليمكن تقريبها الى النفوس والأشخاص الذين لا يرون الا المحسوس ولا يعلمون الا ما هو فى دنياهم تحت نظرهم وطلبهم .

٣ — واذا سألنا المبشرين كيف يكون الناس عندكم يوم القيامة ؟ أجابوك — كما جاء فى الانجيل — أن الناس يوم القيامة يكونون كالملائكة ولا يزوجون ولايزوجون .

٤ — ومن حقنا أن نناقش ملائكية الناس يوم القيامة .. هل هى عدل أم ظلم له ؟

حتما حين يتحول الناس الى ملائكة سيفقدون شهواتهم .. ومن ثم ينتفى جهادهم لأنفسهم .. بينما الملائكة مفطورون

على تجنب الشهوات فلا ميزة لهم فى جهاد نفس .. فهل يجزيهم الله بحرمانهم من حواسهم .. ويظلمهم وهو سبحانه يريد أن يثيبهم .. وينقص قدرهم وقد جعلهم ببشريتهم أكرم الخلائق وأرقى ما خلق .؟

٥ ـ واذا لم يكن هذا الاستدلال العقلى عند المبشرين مقبولا .. فهل لهم أن يتدبروا هذا الدليل النقلى من كتبهم أنفسهم ؟ .

لقد تمثلت جميع الأديان الكتابية النعيم المحسوس فى رضوان الله تذكره العهد القديم .. والعهد الجديد ـ وكتب التراتيل والدعوات وسنقتصر على أربعة نصوص منها .

النص الأول من العهد القديم :

يصف اشعياء يوم الرضوان فى سفره :

« يصنع رب الجنود ـ لجميع الشعوب ـ فى هذا الجبل وليمة سمان، ووليمة خمر، على دردى(1) سمان ممخه(2) ـ دردى مصفى ـ ويفنى فى هذا الجبل وجه التقارب الذى على كل الشعوب ، والغطاء المغطى به كل الأمم » ص ٢٥ .

النص الثانى من العهد الجديد :

---

(1) الدردى بضم الدال الأولى وكسر الثانية هو عكر النبيذ لأنه يترسب فى القاع وتعلو الصفوة .
(2) المخة التى أخرجت مخها .

يصف يوحنا فى رؤياه يوم النعيم :

« ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة ـ لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضيئتان ـ والبحر لا يوجد فيما بعد .

وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس ـ مزينة لرجلها ـ وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا ... هذا هو مسكن الله مع الناس » .

النص الثالث : من تراتيل القديسين .. يقول القديس افرايم الذى سكن سورية فى القرن الرابع الميلاد :

« ورأيت مساكن الصالحين ـ رأيتهم تقطر منهم العطور ويفوح منهم العبير ـ تزينهم ضفائر الفاكهة والريحان وكل من عف عن خمر الدنيا تعطشت اليه خمر الفردوس ـ وكل من عف عن الشهوات ـ تلقته الحسان فى صدر طهور » .

النص الرابع يقول القديس أرنيوس أسقف ليون (سنة ١٧٨ م) :

« ان السيد المسيح أنبأ يوحنا اللاهوتى أن ستأتى أيام يكون فيها كروم . لكل كرمة عشرة آلاف غصن ولكل غصن عشرة آلاف فرع ـ ولكل فرع عشرة آلاف ... عسلوج ـ ولكل عسلوج عشرة آلاف عنقود ـ ولكل عنقود عشرة آلاف

عنبه ــ وتعصر العنبة فتدر من الخمر مائتين وخمسة وسبعين رطــــلا » .

بعد هذه النصوص الأربعة .. من اراد لحم الطيــور مضمخا بالنبيذ يجده فى سفر أشعياء .. ومن أراد جمــــال الأجواء وبهاء البناء يجده فى رؤيا يوحنا .. ومن أراد العطور والعبير وأكاليل الريحان والفاكهة ودنان الخمر وجدها عنــد افرايم .. ومن أراد حدائق الكروم وجدها أشهى وأغنى .. والعنبة الواحدة تدر قناطير من الخمر عند ارنيوس .

ما شاء الله لا قوة الا بالله .. ان اسلامنا لم يبلغ هذا المبلغ من التمثيل بالمحسوسات فى الجنة .. لأن ربنا يقول لنا فى سورة السجدة **« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قــرة أعــين جزاء بما كانوا يعملون »** ــ ولأن رســولنا يخبــرنا عن الجنة فيقول « فيها ما لا عين رأت ــ ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

* * *

افتراءات التخطئة النحوية فى الكتاب؟

آثار المبشرون افتراءات نحوية فى كتاب الله وفى احد عشر موضعا ..

١ ــ زعمهم أن الصواب (عشر) بالتذكير فى قولــه تعــالى من الآية ١٩٦ فى سورة البقرة (**تلك عشرة كاملة**).

٢ ــ وزعمهم أن الصواب (أثنى عشر) بالتذكير فى الآية ١٦٠ من سورة الأعراف **(وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما)** .

٣ ــ وزعمهم أن الصواب رفع المقيمون فى الآية ١٦٢ من سورة النساء **(لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة)** .

٤ ــ وزعمهم أن الصواب (الصابئين) بالنصب فى الآية ٣٧ من المائدة **(ان الذين آمنوا والذين هادوا والصــابئون والنصــارى)** .

٥ ــ وزعمهم أن الصواب نصب المضارع (اكون) فى الآية العاشرة من سورة المنافقون **(وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين)** .

٦ — وزعمهم أن الصواب فى التعبير استعمال (كان) بدلا من (يكون) فى الآية ٥٢ من آل عمران **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** .

٧ — وزعمهم أن الصواب أن يقول (الياس) بدلا من (الياسين) التى يتوهمونها للسجع أو للروى فى قوله (سلام على الياسين) .

٨ — وزعمهم أن الصواب أن يقول (سيناء) لا (سينين) فى قوله **(وطور سينين)** .

٩ — وزعمهم أن القرآن أخطأ فى استعمال الضمائر والصواب (اختصما) للمثنى فى قوله بسورة الحج **(هذان خصمان اختصموا)** .

١٠ — ومن أوهام الخطأ فى الضمائر زعمهم أن الصواب (اقتتلا) فى قوله بسورة الحجرات **(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)** .

١١ — ومن أوهامهم أن الصواب استعمال الفعل (أسر) بلا اسناد لواو الجماعة فى قوله بسورة الأنبياء **(وأسروا النجوى الذين ظلموا)** .

قبل أن نستطلع الرد على هذه الأراجيف .. نقرر لهؤلاء الغافلين .. أن قواعد اللغة من نحوها وبيانها موضوعة على سياق القرآن الكريم .. فهو لها الأصل والمرجع والمقياس .. فهل يجوز عقلا أن يختلف الفرع عن أصله .

والرد على هذه الجهالات جد يسير لمن درس قواعد النحو واحتكم اليها عالما لا متعالما .

١ — فقوله تعالى ((**تلك عشرة كاملة**)) يكون صحيحا حين نقرأ سياقه فى عبارته كاملة من قوله تعالى ((**فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة**)) فالعدد عشرة مجموع الثلاثة والسبعة ... ومعدود هذه الأرقام جميعها كلمة أيام المذكر مفردها يوم .

والقاعدة النحوية التى يعلمها صغار التلاميذ أن العدد المفرد يخالف معدوده تذكيراً وتأنيثا ، فوجب تأنيث العدد عشرة كالعدد سبعة والعدد ثلاثة لتذكير المعدود (يوم) .

٢ — أما آية الأعراف فتتحدث عن أمة اليهود ((**ومن قوم موسى أمة يهدون الى الحق وبه يعدلون ، وقطعناهم اثنتى عشرة .. أسباطا أمما**)) .

من هنا نلحظ :

١ — أن تمييز اثنتى عشرة تقديره قطعة وهو المفهوم من « **قطعناهم** » والعدد المركب مؤنث منصوب كمعدوده .

٢ — كلمة « **أسباطا** » ليست هى التمييز لأن الأسباط هم الأحفاد أحفاد يعقوب ، ولذلك تعرب كلمة أسباطا بدلا من التمييز المقدر قطعة .

٣ — وكلمة ((**أمما**)) تعرب نعتا للمنعوت **((اسباطا))**

٤ — وحذف التمييز ((**قطعة**)) من أعلى ذرا بلاغة الايجاز لدلالة الفعل ((**قطعناهم**)) عليه .. وقد قيل ان البلاغة هى ايراد المعنى الكثير فى اللفظ القليل .

٥ — وبذلك يكون معنى الآية ((**من اتباع موسى امة يهدون الى الحق ويعدلون فى الحكم أولئك الذين قسمناهم اثنتى عشرة فرقة أو قبيلة — وهم أسباط يعقوب الذين صاروا أمما**)) .

٦ — ولو كان التمييز « **سبطا** » بالافراد كوهم المبشرين لكان التركيب معوجا ناقص الدلالة .. واصبح ابناء يعقوب اثنى عشر رجلا فقط لأن السبط يطلق على الواحد — وهذا ما يخالف واقع أبناء يعقوب الكثيرين .. والذين نزل منهم مصر ستة وعشرون كما جاء بسفر التكوين .. وهذا سر قوله سبحانه بعد ذلك ((**أمما**)) .

٣ — وقبل الرد على مطعنهم النحوى فى الآية ١٦٢ من النساء .. نذكر انه من قواعد النحو .. اذا تتابعت معطوفات وأريد العناية بأحدهما والتركيز على معطوف منها ... جاء هذا المعطوف منصوبا بين المعطوفات المرفوعات أو المجرورات .. ويكون نصب هذا المعطوف المعنى به على المفعولية بتقدير فعل محذوف تقديره « اعنى أو اخص أو امدح » .

من هنا جاء قول الحق ((**والمقيمين الصلاة**)) بالنصب على تقدير أخص المقيمين بالصلاة .

وتخصيص المقيمين الصلاة بالذكر لفتة بلاغية .. وتلميح أدبى .. واشارة لطيفة الى مكانة الصلاة بين العبادات فهى عمل قلب وجوارح ولسان وضمير — بل تتمثل فيها مظاهر غيرها من العبادات .. ففيها الشهاداتان

.. وفيها الحج والقصد الى البيت الحرام وفيها الصوم .. لذلك كانت صلة العبد بربه وعمود العبادات فى الاسلام .

٤ — وفى الرد على مطعنهم فى **الآية** ٦٩ من المائدة نذكر بأن أم قواعد النحو قاعدة تقول : « الاعراب فرع المعنى » .

ولذلك وجب ان نتدبر معنى **الآية** .. عصمة من الزلل .

أ — الآية تقرر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر من ثلاث نحل من المسلمين ومن اليهود ومن النصارى ينجون من عذاب الله لأن الدين واحد .

ب — فالفرق المذكورة ثلاث ؟ فأين الصابئون ؟

الصابئون (عبدة الكواكب) فرقة من اليهود .. لذلك خصهم القرآن بالذكر — وقطع لفظ (الصابئون) بالرفع عن المعطوفات المنصوبة على اعتبار أن الحديث عنهم جملة استئنافية .

د — لذلك تعرب كلمة (**الصابئون**) مبتدأ .. خبره « من آمن بالله » .

٥ — وفى مقدمة الرد على مطعنهم النحوى فى آية المنافقين العاشرة أن سيبويه ذكر عن الخليل — جواز العطف على المحل المجزوم بأداة الشرط المفهومة من سياق ما قبله .

وبتطبيق ذلك يكون أولا الفعل أصدق رغم انه منصوب

هو فى مقام جزم جواب شرط لأداة مفهومة من السـياق تقديرها « اذا » بمعنى أن تكون العبارة « اذا أخرتنى .. أصدق » .

وعلى ذلك يكون الفعل « **اكن** » مجزوما عطفا على المضارع « **أصدق** » المجزوم محلا والمنصوب لفظا .

ولقد قرأ المصطفى صلوات الله عليه الآية على وجهين أى بقراءتين إحداهما بجزم أكن مراعاة التقدير وثانيتهما بنصب « أكون » مراعاة للمحل .

٦ — وردنا على مطعنهم النحوى فى آية آل عمران الثانية والخمسين لاستعمال المضارع « **يكون** » فى قوله سبحانه « **كن فيكون** » وعدم استعمال الماضى كان مكان يكون ، يتلخص فى أمرين .

* ليس اعجاز الله .. ولا قدرته متوقفين عند خلق آدم فقدرته تعالى تتجلى من قبل آدم ومن بعده الى ما لا نهاية .

* وفى البلاغة العربية يستعمل المضارع للايحـاء بالتجدد والاستمرار ثم لاستحضار صورة الحدث المحكى عنه فى مخيلة المستمع أو القارىء .

* فاستعمال المضارع « **يكون** » اشارة الى استمرار قدرة الله فى الايجاد من العدم والافناء والتبديل .. استمرارا يشمل الماضى والحال والاستقبال وكل زمان وكل مكان بالحس والمشـاهدة .

* بل من أسرار البلاغة القرآنية استعمال المـاضى

للدلالة على الحال والاستقبال **«أتى أمر الله» «أزفت الآزفة»** ثم استعمال المضارع للدلالة على الماضى وافادة التجدد .

٧ — أما زعمهم أن القرآن قال « **الياسين** » ولم يقل « **الياس** » مراعاة للروى .. فهو باطل .. لأن القرآن ليس بشعر يحتاج الى روى .

وتوضيح ذلك مما يأتى :

أ — الياس اسم معرب يقال فيه الياسين .. والياس اسم فينحاس بن العازر بن هارون عليهما السلام .

ب — والياس ينطق « اليـا » ومعناه بالعبرية «يا قادر أرنى » .

حـ — نقل العرب العلم « اليـا » الى لغتهم فصـار معربا ونطقه الأوائل الياس مرة والياسين مرة أخرى ... وهذا هو ما ورد فى « خطط المقريزى » لمن أراد المزيد .

٨ — كذلك يقال فى سيناء بفتح السـين وبكسرها . ولقد ذكرها القرآن كذلك بفتح السين فى سورة « المؤمنون » .

اما النطق بكلمة « **سينين** » بفتح السين فهو لغة بكر وتميم — ونطقها بكسر السين لغة غيرهم .

٩ — أما مطعنهم على استعمال الضمائر فى آية سورة الحج .. فرده أن نسأل من الخصمان ؟ المتنازعان ؟ .

والجواب أنهما فريقان .. المؤمنون بمحمد من أهل الكتاب والمؤمنون بمحمد من المشركين .

وعلام كان اختصام الفريقين ؟

على الفخر بايمانهم فالكتابيون المؤمنون يفخرون بانتقالهم من كتاب الى كتاب فلهم سبق الايمان والعرب المؤمنون بعد شرك يفخرون عليهم بصدق الايمان — فكلاهما يختصمون طمعا فى فضل الله .

ولقد رأيت أن كل جماعة من الخصمين كثرة وليست فردين اثنين أو واحدا .. ولذلك جاء السياق القرآنى بصورة الجمع فقال « أختصموا » .

فماذا لو قال القرآن « اختصما » ؟

لو قال « اختصما » ينصرف الذهن الى شخصين لا الى جماعتين .

١٠ — كذلك بمثل القول فى آية الحج يكون رد الشبهة فى آية الحجرات « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** » ..

١١ — أما فى الرد على مطعنهم فى آية الانبياء « **وأسروا النجوى الذين ظلموا** » فنقول :

ا — تركيب القرآن مطابق لقواعد اللغة باتفاق .

ب — وقواعد اللغة تجيز فى نسق التعبير لغتين ..

اللغة الأولى ترى فاعل « **أسروا** » هو ضمير واو الجماعة وترى الاسم الظاهر « **الذين** .. » بدلا من الفاعل .

اللغة الثانية ترى ان الواو فى الفعل « **أسر** » للجمع أو علامة جمع .. وان الاسم الظاهر « **الذين** » هو الفاعل .. وهذا رأى لغة .. أكلونى البراغيث .. قليل العمل به لكن تؤيده شواهد من أقوال العرب . منها :

يلوموننى فى اشتراء النخيل أهلى فكلهم يعدل
راين الغوانى الشيب لاح بعارضى فأعرضن عنى بالخدود النواضر

* * *

وكلمة أخيرة فى هذا المبحث ..

لو كان فى أسلوب القرآن مظنة من شك لكان العرب الذين رضعوا لبان اللغة صفوا .. وتربوا فى حجرها حبا أسرع الى الاعتراض .. والأقاويل ، ولم يكتفوا بالاعجاب الساكت ولكن عبروا بالانبهار الناطق .

كتب استاذنا العالم المحقق المدقق المرحوم محمد أبو زهرة فى كتاب « المعجزة الكبرى القرآن » كلاما بينا آثرنا أن ننقله على طوله .. للافادة والتذكير .. فقال :

« كانوا اذا استمعوا للقرآن تحيرت الأفهام .. واضطربت الأحوال ، بين قديم الفوه ، وحق فى القرآن

عرفوه فهم يحاورون فى الحق ، ولكن لا يدرون ماذا يدفعون به القرآن ، وانهم بذوقهم البيانى يجدون انه فوق كل كلام ولا يمكن أن يجرى به لسان من ألسنتهم بل لا يمكن أن يأتى به محمد من عنده ، لأنهم من قبل رأوا كلام محمد عاليا فى جوامع كلمه ، لكن القرآن أعلى من طاقة الانسان ومن طاقة محمد ذاته :

ثم يذكر الشيخ أبو زهرة أخبار من سمع القرآن ، وخر بين يديه صاغرا ، مع شدة العداوة والملاحاة واللدد والخصومة .. فيقول :

« سمعه الوليد بن المغيرة ، فرق له رقة لم تعرف فيه نحو الاسلام ، وخشى أبو جهل « عمرو بن هشام » أن يسير الى الاسلام .. فأنكر عليه حاله ، لكنه لم يستطع أن يقول فى القرآن شيئا ، فقال له الوليد والله ما منكم أحـــد أعلم بالأشعار منى ، أعرف رجزها وقصيدها ، والله ما يشبهه الذى يقوله شيئا — ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه يعلو ولا يعلى عليه ، ما يقول هذا بشر » .

ويمضى استاذنا أبو زهرة .. رحمه الله ونفعه بما علم وعلم .. فيقول :

« ولنذكر خبر عتبة بن أبى ربيعة ، فقد سمع القرآن وهو على الشرك ، ومن كبراء قريش فأدرك بذوقه البيانى مقام القرآن .. وقال مقالة الحق : والله قـــد ســـمعت قولا ما سمعت مثله قط ، ما هو بالشعر ولا بالكهانة » .

ثم يشير أستاذنا أبو زهرة الى ظاهـــرة من ظواهـــر الانبهار بالقرآن .. فيقول :

« ان كبار المعارضين للنبى صلى الله عليه وسلم خافوا على أنفسهم من أن يؤثر القرآن فيهم واستحبوا العمى على الهدى — فتواصوا فيما بينهم ألا يسمعوا لهذا القرآن ، لأن الذين يسمعونه يتأثرون بما فيه من علو وبيان ، وتفاهموا أن يهرجوا بالقول عند سماعه ، ولقد حكى القرآن عنهم ذلك .. فقال تعالى : « **وقال الذين كفروا — لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه ، لعلكم تغلبون** » فصلت ٢٦ .

ولقد كان اذا تلى عليهم القرآن لا ينقده كبراؤهم بـــل كانوا يفرون من مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون : « **قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ، ومن بيننـــا وبينك حجاب** » فصلت ٥ .

ونختم كلمات العالم المحقق بقوله :

« ان أشدهم عنادا كان اذا قرأ القرآن صفى قلبـــه الى الايمان والى الاستجابة لداعيه ، فقد سمع أبو ذر الغفارى القرآن فآمن ، وسمعه أخوه انيس الشاعر فأذعن ، وسمعه جبير بن مطعم فآمن وقراه عمر بن الخطاب فانخلع قلبه من الشرك ومن طغيانه ليكون فاروق الايمان الذى كان ايمانه فارقا بين الاستخفاء والاعلان ، بين ظهور الحق وخفوته » .

❊ ❊ ❊

هل بين الآيات تعارض

- الاعتراض الأول : ((ألم نشرح لك صـــــدرك)) ((واستغفر لذنبك)) .
- الاعتراض الثانى : حول سورة الواقعة .
- الاعتراض الثالث : القضاء والقـــــدر .

الاعتراض الاول

يزعم المبشرون تناقضا بين قول الله لنبيه : ((**الم نشرح لك صدرك ووضعنـــا عنك وزرك الذى انقض ظهرك**)) ١ ــ ٣ ــ الشرح .. وأمره لنبيه ((**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**)) ١٩ محمد ، وقوله ((**ليغفر لك ما تقـدم من ذنبك وما تأخر**)) ٢ ــ الفتح .

٢ ــ وللبيان نوضح معانى كلمة « الوزر » منها الحمل الثقيل ومنه قول الله « لا تزر وازرة وزر أخرى » على رأى الاخفش لا تحمل حاملة حمل أخرى ومن المجاز فيها « وضعت الحرب أوزارها » ومنها قولهم « هو يؤازره أعباء الملك اى يحامله ، ومن معانيها الاثم فى قولهم « قد وزر فلان فهو وازر .. ورجع موزورا غير مأجور » .

٣ ــ قال أبو حيان من ائمة اللغة .. فى آية الشرح : « انها كناية عن عصمة النبى صلى الله عليه وســلم من الذنوب ، والمعنى عصمناك من الأوزار التى تقصم الظهور فلم يصدر عنك ذنب لا قبل النبوة ولا بعدها » .. وهــذا المعنى يستعمله البلغاء .. ويقولون للعظيم : قد وضعنا عنك الزيارة بمعنى .. رفعناها عنك وان لم تحصــل الزيارة مطلقــا .

٤ ــ وقال بعض المفسرين ان المراد بالوزر عراقيــل

المشركين فى طريق الدعوة وجحودهم وعنادهم فان الله قد حمل عن نبيه أسفه على غوايتهم حتى قال له ربه : **((لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)) .**

٥ — لا تحتمل آية الشرح غير أحد هذين التفسيرين .. لأن القاعدة المنطقية عدم استقامة الاحتجاج بآية الا اذا كانت نصا فى المعنى المقصود دون غيره ، ولأن الدليل اذا خالطه الاحتمال سقط الاستدلال به .

٦ — وفيما يتعلق بآيتى محمد والفتح .. نبدأ بآية محمد .. محتكمين الى التاريخ نستقرىء أحداثه .. ونسائل أيامه .. هل ارتكب محمد قبل البعثة وبعدها أثما .. أو اقترف جرما أو أوتى شبهة أو تغلبت عليه شهوة .. ؟ وجواب التاريخ يشهد بنصاعة صفحة حياة النبى .. فى وقت تجرأ فيه المضلون فلاحقوا أنبياء الله — فى التوراة .. بما يخجل له وجه الحياء .

٧ — ومن ناحية اخرى فان الذنوب فى الشريعة قسمان .. كبائر وصغائر . والكبائر لا تمحى بالاستغفار .. لأن منها ما يجب فيه الحد ومنها ما يستوجب رد المظالم ومع كل لابد من توبة نصوح وانابة صادقة .

اما الصغائر وهى اللمم فهى ما يزيلها الاستغفار ، وصغائر الذنوب تختلف باختلاف أقدار الناس .. فهفوة الصغير سيئة الكبير وقد قالوا : ((حسنات الأبرار سيئات المقربين)) .

والمراد بذنوب النبى والمؤمنين .. هفوات سهو ، أو هنيات اضطرار .. تخالف قدر النبى ، وايمان المؤمنين ، ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كاد يهلك أسى من عناد المشركين حرصا عليهم ورغبة فى ايمانهم ..

والحزن هنا يدل على شعور نبوى عارم بالحرص على الناس .. ولكن الحزن فى ميزان الرسالات قد يترتب عليه اشتغال المحزون بحزنه عن رسالته .. ولذلك عد ذلك فى حساب النبى الكريم الموصول القلب بربه ذنبا .. ((فاستغفر لذنبك)) — ومنها كذلك أن الرسول عليه السلام فى يوم قائظ ضرب بعرجون أعرابيا غليظا زاحم الناس .. وشق بمنكبه الجمع ليأخذ بالقوة والعنف نصيبه فى قسمة التمر التى كان النبى يجرى قسمتها على الجميع ولن يترك منهم أحدا .. فلما قال له الاعرابى : ضربتنى يا رسول الله — قال له النبى خذ العرجون واقتص .

هذه الضربة الخفيفة عمل تقره التربية وتستوجبه مسئوليات القيادة تجاه رجل افتتن بقوته وزاحم الجمع ، وأزاح الضعيف وتجاوز الصغير وتقدم على العجوز ، فأراد الرسول القائد أن يعلمه حتى لا يدل بقوته ويفتر بغلظته .

٨ — وبعد ذلك وقبله .. يبقى الاستغفار فى الاسلام مرحلة فى طريق العبادة ، تعلن الخضوع لله ، والاحتياج الى الله ، لأن الانسان مهما ألزم نفسه الجادة ، والتزم المحجة ، فانه الانسان يغلبه ضعفه . أو يهتز قلبه ، أو يميل خاطره ، أو تناجيه نفسه .. فيسرع الى الاستغفار يتطهر به ، ويلجأ اليه .

٩ ــ أما ما يتعلق بآية الفتح .. فليس مضمونها وقوع الذنب من النبى المعصوم ، انما هى آية تعدد أفضال الله عليه .. وتعلن ارتفاع منزلته اليه .

هذا هو معنى آية الفتح متصلا بما قبله ، مؤديا الى ما بعده ... فما قبلها .. تبشير بفتح مكة .. والانتصار على المشركين « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ــ وما بعدها تبشير بانتصار الدعوة وتمام النعمة واكتمال الهداية .. ورفعة المنزلة فى الآخرة .

١٠ ــ وكيف يكون الغفران فى آية الفتح للذنوب .. وربنا يقول « .... وما تأخر » .. اشارة الى ما لم يقع .. وما تأخر من الذنب لم يقع حتى يغفر ؟ لهذا كانت آية الفتح مصاغة فى اطار بلاغى وتعبير كنائى .. عن منتهى الحب والرضى ، وغاية القرب والصلة لا تؤثر فيها ذنوب لأنه لا ذنوب .

١١ ــ هذا التفسير لآية الفتح ينطلق من منطلق العبودية الصحيحة لله جل شأنه .. التى يترتب عليها عصمة رسله ، وطهر دعاته المصطفين .. والا فيم يكون الاصطفاء ؟ ولم يكون الاجتباء ؟ .

هذا هو أدب دعوتنا الذى بمنظاره نرى محمدا وكل المرسلين وقاعدة الاسلام « تكريم الأنبياء والمرسلين جميعا فهم معصومون عن كل معصية تخل بمقامهم » .

ومنطق القرآن هذا مع محمد هو مع اخوته عيسى وموسى

وغيرهم ، وانه لمنطق كريم من رب كريم .. يعلو ويتسامى فوق هذا العوج المقبوح فى نسبة أهل الكتاب الصغائر والكبائر الى المرسلين .

* * *

الاعتراض الثانى :

يزعم زاعمهم تناقضا فى سورة الواقعة بين قول الحكيم العليم : « **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين** » ١٣ ، ١٤ وقوله جل شأنه «**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين**» ٣٩، ٤٠ .

١ ــ ودفع هذا الوهم يبدأ من فهم معنى الثلة أنهم الجماعة الكبيرة . ثم توصل الآية منهما بما قبلها ولا تقطع عن سابقتها .. وهذا هو الفهم لا التجنى الجهول .

فآية الواقعة الأولى ١٣ ، ١٤ فى مقام الحديث عن السابقين .. وانهم جماعة كثيرون من الأولين الأنبياء وكبار المؤمنين ، الذين آمنو بأنبيائهم وصدقوهم ونصروهم ، وأنهم كذلك جماعة قليلون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

وآية الواقعة الثانية ٣٩ ، ٤٠ فقد جاءت فى مقام الحديث عن أصحاب اليمين وهم كثيرون من الأمم السابقة وكثيرون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ــ ومن ايحاءات هاتين الآيتين أن أمة محمد من كثرتها ما يعادل الأمم السابقة .

* * *

الاعتراض الثالث :

١ ـــ ومن تضليل المبشرين ما يثيرونه من لغط فى قضيتى القضاء والقدر ويزعمون واهمين ـــ أن القرآن الكريم ناقض ـــ فى ذلك ـــ بعضه بعضا فبينما ـــ فى جهلهم ـــ يقرر سوق الناس الى أعمالهم قهرا يقرر اثابة الطائعين وعقاب العاصين . ثم يعترض المبشرون على المفسرين الذين قالوا ان بعض الآيات نسخ الآخر ..

٢ ـــ ومع تصديقنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم **((اذا ذكر القضاء والقدر فامسكوا))** لأن ادراك العبد يقصر عن فهم كنه أعمال الله فان واجب دفع الفتنة وكشف الفرية .. أكرهنا على الحديث ، ومقدرتنا أننا سنتكلم حواليه لا فى حقيقته : **((ولا تقف ما ليس لك به علم))** ولذلك نكتفى باشارات سريعة .

١ ـــ القضاء حكم الله على أفعال المحكومين حسب نياتهم .. وهو قسمان قضاء معجل فى الدنيا لتنبيه الغافلين وتعليم الغافلين ، وقضاء مؤجل للآخرة عقابا للجاحدين وجزاء للمحسنين .

٢ ـــ أما القدر فهو تقدير الله تعالى السابق فى علمه القديم الذى أوجد به الممكن من قدرته **ليمتحن المكلفين** .

٣ ـــ والايمان بالقضاء والقدر واجب ، وانكارهما كفر، والاحتجاج بهما نكوص عن الهمة العليا .

٤ ـــ وعلماء المسلمين يجمعون على حرية العبد فى أعماله ولذلك كان الثواب وكان العقاب .

٥ ـــ وقدرة العبد فى ايجاد الفعل أو فى تركه هى قدرة الله .

٦ ـــ ولما كان الله هو الذى خلق قدرة العبد على أى فعل كان من الحسن ان ينسب العمل الى الله ، فيقال كل شىء من عنده ، وما ورد فى القرآن من ذلك محمول على هذا المعنى .

٧ ـــ ويمكن أن نقول : ان أفعال العباد مخلوقة لله ، وأن القصد والنية مخلوقة للعبد، فالمصلى يقصد أداء الصلاة والله يخلق له قدرة على تأدية حركاتها . والمجرم يقصد جريمة والقدرة المودعة فيه التى استغلها للاجرام هى من قدرة الله .. فلا جرم أن يثيب الله الأول ويعاقب الثانى .

٨ ـــ بهذا الفهم يمكن أن نزيل الغشاوة التى يضعها المبشرون على عيون الدهماء الساذجين حول هذه الآيات :

أ ـــ ((وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه)) ١٣ ، ١٤ ـــ الاسراء .

★ من الخطأ أن يستدل بهذه الآية على الجبرية ... لماذا ؟ .

لأن المراد بالطائر هو العمل .. والطائر والعمل لا استقرار لهما فى الحياة .. فانظر روعة التشبيه .

★ وبذلك يكون معنى الآية : أن الله جل علاه سيلزم الانسان يوم القيامة عمله الذى وقع منه اختيارا كما تلزم القلادة العنق .

ب — « فيضل من يشاء ويهدى من يشاء » سورة ابراهيم .

★ هذه الآية لا علاقة لها بأعمال العباد مطلقا ، لأن الآية مجرد اخبار بقدرة الله على هداية الناس بارسال الرسل أو اضلال الناس بتركهم يتخبطون — له المشيئة المطلقة ، ولكن رحمته الواسعة هدت الناس **« فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد »** .

★ على هذا نفهم الآية تذكيرا بنعم الله على عباده .. ثم تركهم سبحانه لاختبارهم فى اختيارهم . أيهم أحسن عملا، فان صرفوا نياتهم للايمان كانوا مؤمنين وأن صرفوا ارادتهم للكفر كانوا كافرين .

د — « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس » ١٧٨ — الأعراف .

★ ليس فى معنى الآية الغاء للحرية .

★ ان الآية أخبار من العلى الأعلى أن خلقا يصيرون الى جهنم بسوء أعمالهم التى اقترفوها باختيارهم .

د — « سواء عليهم .. أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون .. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » .

★ ليس فى الآية معنى الجبرية ، وليس معناها كما يتوهمون — أن الله جعل بداية الايمان فى هؤلاء المشركين مستحيلة ثم كلفهم الايمان بعد ذلك .

★ ان الآية اخبار للنبى صلى الله عليه وسلم .. بأن هؤلاء الكافرين قد حملهم العناد والتشبث بالوثنية على تعطيل مداركهم والغاء عقولهم ، ومنع وسائل الاحساس فيهم عن تدبر الدلائل الواضحة والبينات القائمة .

★ فالآية اخبار غرضه البلاغى توبيخ الكافرين الذين استمرءوا الكفر فأصبح عادتهم وديدنهم .. وذلك هو ختم الله على حواسهم بما أصروا فى أنفسهم واستكبروا استكبارا

★ ان الله لم يخلقهم عاجزين عن النظر .. قاصرين عن الأستدلاء ولكنهم امتنعوا بعنادهم ، وابتعدوا لجحودهم .

تعقيب :

● حالنا مع المبشرين .. حال من قال : **« رمتنى بدائها وانسلت »** .. يتهمون الاسلام بأنه يقول .. ان الله خلق الخير وخلق الشر .. وعهدهم القديم يقول عن الله « مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام وخالق الشر — انا الرب صانع كل هذا » ع ٧ ص ٤٥ من أشعياء .

● لكن القرآن المجيد لم يصرح بأن الله خلق الشر بل الشر من ثمرات الانسان — ذلك هو رفيع الأدب وشرف التعبير الذى جعل أبا الأنبياء ابراهيم ينسب الخير الى ربه **« الذى هو يطعمنى ويسقين »** وينسب المرض الى نفسه **« واذا مرضت فهو يشفين »** . وصدق الله العظيم الكريم : **« فإما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** ٣٨ — البقرة .

كشف زيغهم في المحكم والمتشابه

(منه آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات) .

١ — ويزعم المبشرون كذلك تناقضا — جل ربنا عن ذلك .. بين قوله سبحانه **«منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات»** من الآية ٧ — آل عمران . وقوله فى آيات كثيرة **« انا أنزلناه قرآنا عربيا »** وقوله : **« بلسـان عربى مبين »** .

ويعقب المبشرون بزيفهم .. ويقـولون : كيف يكون القرآن عربيا مبينا وفيه المتشابهات .

٢ — لقد سبق المفسرون وعلماء الكلام بدفع هـذه الأضاليل ، لو كان المبشرون يعقلون .

قال العلماء : « المحكم ما لا يعتريه خلل ، نقول بنـاء محكم أى متين وحكمت الفرس أى مسكت بزمامهـا ، أو وضعت عليها الحكمة ، قال زهير « قد أحكمت حكمات القد والأبقا » — أما المحكم من الكتاب فهو الواضح المجمل الذى يحتاج الى تفصيل كالسور الجامعة للمعانى العليا والحاكمة عليها مثل سورة الفاتحة والاخلاص وبعض سور صـغار المفصل وأوائل سورة البقرة . »

والمتشابه هو تفصيل الجوامع والكليات ، ويحتاج فى بسط صفات الحق سبحانه وتعالى الى التشبيه والاستعارة والمجـاز .

فالآيات المتشابهات تشتمل على الحقائق التى تعجـز

العقول البشرية عن ادراك كنهها مثل (ذات الله) و (حقيقة الروح) و (الأمور الغيبية من أحوال الآخرة) .

مثل هذه الحقائق عبر عنهـــا القرآن بعبارة عربيـــة فصيحة .. مبينة المضمون لكل فهم ، واضحة المعنى لكل عقل — لكن العلماء والمفكرين يعجزون عن الغوص فيها ، ولا يقطعون رأيا بالحديث عنها ، لا يتطوعون بتفصيلها ، ولا يطالبون الرسول ببيانها ، لأن العقل البشرى مخـلوق كالعين مثلا له حد لا يتجاوزه وله مدى لا يتعداه بينمــــا الجاهلون المكابرون يطلبون من الرسول بيان حقيقة الروح وظهور الله جهرة ، وتحديد موعد الساعة .

٣ — والقرآن الكريم خاطب العقول والأفهام على جميع المستويات بما يستطاع فهمه فى أصول التكوين وعلوم المعانى وأسرار الطبيعيـــات وخطـــاب الروح والملائكة والنبيين والمرسلين وعوالم الجن والانس والمغيبات .

٤ — لكن العامة والذين لم يبلغوا من العلم الا قليلا اذا أضلهم الشيطان يرون تناقضا بين المحـكم والمتشابه — كما تلجلج بنو اسرائيل وطلبوا من نبيهم موسى بيانا فى أصل معروف وهو البقرة ولم يكتفوا بالأمر الأول لقصر عقولهم ، واختلف عليهم أمر البقرة فقالوا : ((**ادع لنا ربك يبين لنا ماهى — ان البقر تشابه علينا —**)) من سورة البقرة .

٥ — وفى آيات العقائد .. يعرض القرآن للخلق كافة بيانا يستطيعون فهمه فى عالمهم المحسوس ، ويضرب لهم الأمثال وهم أعلم بالحقيقة .. فيقول سبحانه : ((**ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم**)) الآية ٣٥ من النور ،

ويقول : ((**كذلك يضرب الله للناس أمثالهم**)) الآية ٣ من سورة محمد .

٦ — وأحيانا يستعمل القرآن فصاحة العرب وبلاغتهم ، فيخاطبهم بالكناية والاستعارة والتشبيه والمجاز .. ومن هنا يخلط الشـــيطان الأمر على بعض العقول القـــاصرة ... ((**فيتبعون ما تشابه منه ابتغـــاء الفتنة وابتغـــاء تأويله**)) وتفسيره على غير وجهه الأصيل ، فأين هؤلاء من الذين قال فيهم الحق : ((**ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**)) ٨٣ المائدة .

((**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**))

((**سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .**))

* * *

هل الهجرة هروب ؟

- التوراة المعاصرة والحديث عن الهجرة المحمدية .
- سفر أشعياء والهجرة من مكة .
- هجرة الأنبيـــــاء .
- هجرة عيسى عليه السلام .

درج المبشرون على تسمية المسيرة المحمدية من مكة الى المدينة باسم الفرار أو الهروب .

وهذه السطور ليس من هدفها سرد القصة ولا التأريخ للأحداث .. لأن غايتها دفع شبهة .. وتصحيح مفهوم .. وتطهير أفق من نفثات المصدورين .

وفى مقدمة الرد – كمنهجنا – أن نضع الحقائق من كلام الخصوم وبطون كتبهم أولا .. ثم نحتكم بأساليب البحث والاستقراء والتحليل والمقارنة ثانيا .

الحقيقة الأولى – أن التوراة – المعاصرة – تحدثت عن هجرة محمد ورسالته .. قبل أن يأتى محمد وتظهر رسالته .

* ففى سفر أشعياء ص ٢١ – ع ١٣ ..

« وحى من جهة بلاد العرب فى الوعر تبيتن يا قوافل هاتوا ماء لملاقاة العطشان ، وخبزة للهارب(١) من أمام السيوف .

---

(١) الأصل للقادم حتى يستقيم الأسلوب فلا يقال هرب من أمام أو من تحت بل يقال الهارب من السيوف – أما القادم يتعين معه تحديد ظرف مكان القدوم . لعلها مغمز المترجم فليرجع الى الأصل .

يا سكان التيمن قال الرب تفنى جبابرة قيدار .

فماذا فى هذا النص ؟ والجواب أنه كما ينطق :

* اعتراف صحيح بنبوة محمد وانه وحى فى بلاد العرب

* واعتراف بهجرته فى سبيل الرب .. ونصرته بفناء اعدائه المشركين .. جبابرة قيدار .

وتفسير ذلك ..

محمد قادم من أمام السيوف أى خارج من بين شباب مدججين بالسيوف على باب بيته .

وفى الوعر تبيت القوافل هو معنى مسيرة الرسول وصاحبه بين الجبال فى الصحراء .

وسكان التيمن .. هم أهل تيماء اليهود الذين صالحوا النبى وكذلك جبابرة قيدار هم كفار قريش المنتسبين الى جدهم قيدار أحد أبناء اسماعيل الاثنى عشر .

وفناء جبابرة قيدار هو هزيمتهم بفتح مكة .

الحقيقة الثانية : جاء فى سفر أشعياء ص ٤٢ — ع ١١

« لترفع البرية ومدنها — صوتها .

الديار التى سكنها قيدار — لتترنم .

سكان سالع من رءوس الجبال — ليهتفوا .

ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر .

نعم هذا صحيح .

فالديار التى سكنها قيدار — مكة وما حولها — وقف أهلها فوق جبل سالع بالمدينة — وهتفوا بمقدم محمد — ثم ترنموا بأناشيدهم فى استقباله .

الحقيقة الثالثة : أن الأنبياء أكثرهم هاجروا .

* فابراهيم هاجر الى حوران بالأردن والى فلسطين .

* وصالح وهود ولوط هجروا ديارهم بعد أن نزلت بهم نقمة الله .

* وموسى هاجر الى سيناء من فرعون .

* وعيسى هاجرت به أمه من وجه هيرودس الى مصر .

الحقيقة الرابعة : أن نبى الله عيسى حين كذبه قومه طردوه فكان يوصى تلاميذه بقوله :

« طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات » .

ثم قال عليه السلام لتلاميذه :

« افرحوا .. وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات فانهم هكذا طردوا الأنبياء قبلكم » .

وبعد .. هل وراء هذه الحقائق من كتبهم واقوالهم

باقرار النبوة ، وتصديق الهجرة ، واثبات الهجرة للأنبيـــاء يقال ان محمدا هارب فار ! ؟

فماذا كان محمد — فى زعمهم — هاربا فى هجرته ؟ فهل ينسحب هذا الوصف على أخوته الأنبياء حين هاجروا ؟

أما نحن .. فأدب ربنا سبحانه يعلمنا « **لا نفرق بين أحد من رسله** » ويعلمنا أن الهجرة .. هجرة جهاد ايجابى استجمع القوى .. ليدير المواجهة الشاملة والفتح المبين .

* * *

وبعض مطاعنهم فى تعدد زوجات الرسول

- **الدافع النفسى لمطاعنهم .**
- **زواجه بالسيدة خديجة .**
- **زواجه بالسيدة عائشة .**
- **زواجه بالسيدة سودة بنت زمعه .**
- **زواجه بالسيدة حفصة بنت عمر .**
- **زواجه بالسيدة أم حبيبة .**
- **زواجه بالسيدة جويرية بنت الحارث .**
- **زواجه بالسيدة صفية .**
- **زواجه بالسيدة أم ســلمة .**
- **زواجه بالسيدة ميمونة بنت الحارث .**
- **زواجه بالسيدة زينب بنت خزيمة .**
- **زواجه بالسيدة زينب بنت جحش .**

لمـــاذا يتهم الخصوم ويشتطون فى الاتهام ؟

١ ـــ قبل أن نناقش التهمة .. يحسن أن نبحث عن الدافع النفسي الذى حرك القـــائلين بها ؟ أهو البحث عن الحقيقة ؟. أم مجرد الترف العقلى ؟ .

لو كان كذلك لعرضوا مظنتهم فى نبى الاسلام ، وما يقابلها ـــ فى كتبهم ـــ من مظان فى أنبياء الله .. نســبوها اليهم ابتداء بآدم فابراهيم ويعقوب فى سفر التكوين .. الى أحب الأنبياء عندهم ـــ كما قالوا ـــ داود النبى الملك ابن يسى أب المسيح .. صاحب المزامير التى رددتهـــا وترددهـــا الكنائس فى كل أرجاء العالم ـــ وهو الذى قالوا عنه « عمل كل ما هو مستقيم فى عينى الرب ، ولم يحد عن شيء ممـــا أوصاه به كل أيام حياته » ومع ذلك نسبوا فى كتبهم الى هذا النبى ما أسموه بخطية حياته حين تطلع الى زوجة آخر ، وانغمس معها فى الشهوة ـــ وأراد أن يدارى فعلته ، فأرسل زوجها الى معركة لقى فيها حتفه ، وضم داود بعده زوجه الخائنة .. مع زوجاته السابقات اللائى قاربن المائة .

ورغم ذلك يظل النبى داود مشهودا له من الله عندهم بقوله : « وجدت داود بن يسى رجـــلا حســـب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى » .

٢ ـــ أقول : لو انصفوا الحقيقة .. وكانوا يبتغون

.. لوضعوا فى كفتى ميزان الحقيقة ما عندهم وما عندنا ، وحينئذ يصدق الكيل ويستقيم الميزان .

والضد تظهره محاسن ضده   وبضدها تتميز الأشياء

ومهما قيل فى عدد زوجات الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فلن يبلغ معشار زوجات داود .

ومهما تقولوا على شخصية محمد الأمين — فلم تكن له — خطيئة كخطيئة داود الذى يتردد اسمه فى الاسلام بالاجلال والتكريم .

ان نتيجة أقاويل المبشرين .. أن المعترض على محمد فى زواجه أحجى به وأحرى أن يرفض نبوة داود ورسالته .

واذا البينات لم تغن شيئا   فالتماس الهدى بهن عناء

٣ — واذا تبين أن خصوم الاسلام لا يقبلون دليل العقل ولا يرتضون دليل النقل .. تعين لكل عقل أن يدرك بلا مرية أن دافعهم النفسى وراء القدح فى شخص محمد الكريم ... هو التشكيك الرخيص فى دينه الكريم ... خوفا على دينهم وما يعتقدون .

ان خصوم الاسلام على اختلاف مشاربهم ومساربهم يحسبون أن مقتل الاسلام فى تشويه سمعة نبيه عليه الصلاة والسلام .

٤ — وأشفق على هؤلاء الخصوم .. لأنهم قد أساءوا الى أنفسهم والى دينهم .. لأمور ثلاثة :

الأول : جلاء الحقيقة واجلاء الباطل ، أهون على المؤمن العارف بدينه والباحث فى كل الأديان .

الثانى : مطاعنهم الطائشة فى نبى الاسلام بعد تفنيدها ستكون معارج تعظيم المسلم لنبيه نبى الحق والحقيقة .. بمعنى أن الباحث سيعلم علم اليقين أن سيرة محمد فى زواجه من أصدق دلائل اليقين على صدق رسالته وشرف نبوته .

الثالث : أن أى دين أو أية شريعة تسول لأنصارها أن الافتراء على الأطهار من خلق الله .. هو السبيل للتبشير بكلمات الله .. شريعة تقيم من نفسها الحجة على بطلانها .

٥ — وأن تعجب ... فعجب أن يتزوج محمد فى شيخوخته بقواعد هرمات لا جمال لهن ولا حال ولا مال .. فتقوم دنيا التبشير ولا تقعد ، ثم يزوجون الله ، ويولدونه — سبحانه عما يصفون — ثم تهدأ عواصفهم ، ويمرح خيالهم .. !!

٦ — هذا سؤال لكل عقل حصيف وضمير نظيف .. ماذا يفعل الرجل الشهوانى — أسير النساء وجليس الغريزة .. اذا بلغ مع عرامة الشهوة .. رفعة المكانة .. وعزة الجاه .. وسيادة الناس ، وسؤدد الحياة ؟

الجواب : أن الرجل — أى رجل — حين يكون كذلك .. يجمع اليه أجمل الجميلات حول أطاييب النعيم ، ومفاخر العيش العميم .

فهل كان محمد .. السيد المطاع ، الشريف العزيز كذلك ؟ .

يجيبك التاريخ .. انه لم يفعل ولم تحدثه نفســـه ان يفعـــل .

* فلم تكن زوجاته حسناوات .

* ولم يبن الا بعذراء واحدة .. توثيقا لعرى صداقة صـــديقه ووزيره .

* ولم يتزوج بأزواجه ألا وهو بعد الخمسين وقــد غاض ماء الشباب وانقطعت الرغاب .

* ولم تكن زوجاته الا أرامل وأيمات .. عجائز قواعد .. لا يثرن ولا يثرن .

* ولم تحتمل زوجاته شظف العيش وقلة النفقـــة ، وكدن يفـــارقنه .

* ولم يكن دافع زواجه بهن الا صلة رحم .. أو ضنا بهن على مهانة أو تخفيفا لأسباب عداء أو تأليفا لقـــلوب أعـــداء .

٧ — لقدكان زواجه — صلوات‌الله‌عليه — زواجاكتمات فيه الفضيلة وشاعت عنه الحكمة ، وقصد منه الاصـــلاح والخــــير .

لقد قضى شبابه .. خمسة وعشرين ربيعا .. لا تمتد عينه الى مأثمة ، ولم تسقط بصفحته ريبة ، فظهرت ســـيرته فى وقدة الشباب وجموح الصبا ، وذلت أمام عفته وذمتـــه

خصومة العدو .. وصـــداقة الصـــديق حتى سموه كارهين وطائعين (محمد الصادق الأمين) .

أ — ثم تزوج بالسيدة خديجة ثيبـــا فى الأربعين وهو فتى فى الخامسة والعشرين فظل بارا بها فى حياتها .. وفيا لها بعد موتها .. وبقى معها ربع قرن لم يبدل بهـــا سواها ، ولم يشرك معها غــــيرها .. على كثرة ما كان فى العرب من تعدد الزوجات وسرف الشهوات . فليس هنـــا تعـــدد .

فلو كان شهويا .. فما الذى حبسه فى غمرة الشباب وعنفوان الكهولة على زوجة تكبره . ؟

ب — وتزوج رسول الله بعائشة وبنى بها فى العاشرة — صبية تنام عن عجينها ليبر بزواجه وزيره .. ويوثق محبته لنصيره .. ولم لا يتزوج بها وأبوها وضع حياته وماله وجاهه فى كفة .. ووضع صديقه محمدا ودعوته فى اخرى فرجح محمد على ذلك كله .. فتزوج بها الرسول الكريم ، تزوج بها .. دفعا للوحشة ، وتوثيقا لعلاقته بأبيها ، وكان أمر زواجه بها رؤيا ورؤيا الأنبياء حق ولذلك كان الرسول يقول : « أن كان من عند الله يمضه » .

د — وزوجـــــه السـيدة ســودة بنت زمعـــة .. العامرية القرشية ، مات عنها زوجها السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو — بعد هجرة الحبشة ، فصارت لا مأوى لها الا أهلها المشركون ، فان هى عادت اليهم اكرهوها على الردة أو أجبروها على الزواج بمن لا تريد ، وان هى بقيت وحيدة فكيف لها أن تعيش ؟ فتزوجها الرسول وقد جاوزت

الخامسة والخمسين بعد موت خديجة .. ليتألف بزواجه بها كذلك بنى عبد شمس أعداء بنى هاشم ، وليس فى الزواج بهـا تعـدد .

د ــ أما السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب التى مات عنها زوجها خنيس بن حذافة السهمى بعـد غزوة بـدر ، فعرضها أبوها وهو الذى يأخذ الأمور أخذا واقعيا ــ على أبى بكر فاعتذر ، وعلى عثمان فسكت ، فمس هذا الرفض مكامن نفس عمر ، وبث حزنه للرسول .

وأدرك صاحب القلب الكبير ما يعانيه القلب الكسير، وأبى أن يضن عليه بمصاهرة شرف بها أبو بكر فقال رسول الله لعمر : « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة » .

ولقد ثبت فى صحيح مسلم أن عمر قال لحفصة : «انى أعلم أن رسول الله ما تزوج بك الا لأجلى ، آذ ليس فيك من الجمال ما يبعث على الزواج » .

ألا ترى معى أن حفصة دخلت بيت الرسول بنبـل النخوة لا بعرامة الشهوة ؟ رضى الله عنها كانت صـوامة قوامة .. فصارت بوحى السماء زوجة الرسول فى الجنة

هـ ــ أما السيدة أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان .. تركت باسلامها أباها وأخاها على الشرك ، وهجرت أمها هندا آكلة الأكباد .. وهاجرت مع زوجها الى الحبشة ، ثم تنصر زوجها عبيد الله بن جحش وفارقها فى غربتها بلا عائل

يكفيها ولا ولى يحميها ، فان هى عادت الى أهلها فالنقمة تنتظرها ، وان هى بقيت فى الغربة فالفتنة تعتصرها .

عندئذ يتحرك ولى المؤمنين (النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم) ويرسل الى النجاشى يطلبها ليتزوج بها ، وينتشلها من صروف الأيام .. ويؤلف قلب أبيها الى الاسلام .

و ــ والسيدة المصطلقية .. جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زعيم قومه بنى المصطلق ، جئ بها من السبايا وهى من بيت عز وشرف .. فأكرمها الرسول أن تذل ذلة السباء ، وأعتقها ، وتزوج بها ، فرفعها الى مرتبة الشرف التى كانت لها ، وأعتق المسلمون بعتقها مائة من أهلها .. وأسلم جميع قومها ، واختارت رضى الله عنها كنف رسول الله على الأهل والمال .

ز ــ والسيدة صفية بنت حيى بن أخطب ، بنت سيد بنى النضير ــ أشرف بيوت اليهود ، تنزع بنسبها الى هارون أخى موسى ، وكانت صفية زوجة لكنانة بن أبى الحقيق الذى قتل عنها يوم خيبر .

فلما جئ بالغنائم ، والسبايا من بينها صفية ، قال لها رسول الله :

« لم يزل أبوك من أشد الناس عداوة لى حتى قتله الله فاختارى .. ان اخترت الاسلام أمسكتك ، وان اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك » .

فقالت : « يا رسول الله ، أما عداوة أبى فان الله يقول:

« ولا تزر وازرة وزر أخرى » — ولقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل أن تدعونى ، وما لى فى اليهودية أرب وما لى فيها والد ولا أخ — وخيرتنى بين الكفر والاسلام فالله ورسوله أحب الى من العتق ، وأن أرجع الى قومى » . هنا قال رسول الله : « قوموا فان صفية أمكم » .

لقد أذهب هذا الزواج الضغن ، وشفى الجراح ، ودعا كل صحابى أن يعتق اقارب صفية ، فكيف يسترق أصهار النبى ؟ !

ح — أما السيدة هند بنت أمية المعروفة بأم سلمة ..
فمؤمنة سابقة وأول مهاجرة الى الحبشة وأول ظعينة الى المدينة ، مات عنها زوجها أبو سلمة « عبد الله المخزومى » فى أحد ، وتركها كهلة مسنة ، وترك فى كفالتها ابناءها الأيتام الأربعة (سلمة وعمر ودرة وزينب) وبقيت أم سلمة أم الأيتام حزينة بمصابها .. طاوية آلامها .. منكرة أن يكون بين الرجال من كأبى سلمة .

وكان أبو سلمة بارا بها وفيا لها .. يعنيه أمر أم سلمة بعده .. فدعا لها : « اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى ، لا يحزنها ولا يؤذيها » .

وحق رجل شهيد مؤمن ورع كأبى سلمة على المجتمع أن يحفظه فى أبنائه ، وأن يبر به أرملته ، فتسابق كبار الصحابة يعرضون لزواج أم سلمة زواج البر والوفاء لا زواج الاستمتاع والرفاء .

أبت أم سلمة خطبة أبى بكر ، ورفضت خطبة عمر ،

فلما خطبها الرسول لنفسه قالت : « أنى امرأة قد أدبر منى سنى ، وأنى أم أيتام ، وانى لشديدة الغيرة » — فقال لها رسول الله : « اما ما ذكرت من سن فما زلت أكبر منك ، واما ما ذكرت من الأيتام ، فعلى الله ورسوله » .

هنا رضيت ،وآواها البيت النبوى .

ط — أما السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية التى كانت أختها (لأمها) سلمى بنتعميس زوجة حمزة بنعبدالمطلب
عم النبى وشهيد أحد — وكانت أختها أم الفضل تحت العباس عم النبى وكانت أختها (لأمها) زوجة جعفر بن أبى طالب .. فقد تزوج بها النبى بعد موت زوجها أبى رهم — رعاية لها .. ومودة لأهله .

ى — وتزوج رسول الله زينب بنت خزيمة أم المساكين
.. عقب موت زوجها عبد الله بن جحش فى غزوة أحد ، فكان زواجه منها .. اكراما لشهيدها وتقديرا لسخائها ، وقد توفيت فى حياته بعد أقل من عام .

ك — أما السيدة زينب بنت أميمة بنت عبد المطلب (زينب بنت جحش) فيستحق زواج الرسول منها — وقفة تأمل
.. أمام أراجيف المبشرين والمستشرقين الذين جعلوا من زواجها جعبة سهامهم .. ومسرح أحلامهم .. ومحط تصويرهم الهابط وموضع هواهم الساقط .

رحم الله العقاد .. يحدثنا عن هؤلاء الطاعنين فيقول:

« ان هؤلاء يكتبون مؤلفاتهم للحاضر ولا يعنيهم أمر

الماضى فى هذا الموضوع بعينه ، فيتركون المخلفات القديمة على حدة فى مكتبات علماء الدين وورثة اللاهوتيين .. ثم يتخرج الناشئة .. مؤمنين بصدق دعوات التبشير » .

ويقول الأستاذ العقاد :

« وجعلوا همهم كله تشويه الحكمة الاسلامية بتشويه مصدرها الأول ، وتمثيل صاحب الدعوة الاسلامية فى صورة بعيدة عن التقديس والاحترام ، ولا حاجة بهم بعد ذلك الى البحث فى دقائق الحكمة ، وأسرار الفلسفة ، لتنفير الأفكار من النبى ورسالته ، لأن تمثيل انسان مقدس فى الصورة التى تنزع القداسة عنه أيسر جدا من عناء الدراسة فى نقض العقائد وادحاض الأفكار » .

وننقل عن الاستاذ العقاد ما رواه من أكاذيب المبشرين التى احتفل رواة القرون الوسطى بتزويقها وترويجها ... فيقول :

« كتب الراهب فيدنزيو

« كان هناك رجل يسمى سيدوس — زيد — له زوجة تسمى زبيب « ولم يقل زينب » .

وكانت هذه الزوجة أجمل نساء الأرض فى زمانها — وسمع محمد بجمالها الرائع ، فشغف بها حبا ، وأراد أن يراها فقصد الى منزلها فى غياب زوجها يسأل عنه — فقالت له الزوجة : ماذا تبغى يا رسول الله ؟ وماذا جاء بك عندنا ؟ ان زوجى قد ذهب الى عمله » .

ولم تخف المرأة خبر الزيارة عن زوجها الذى سألها عند عودته ، هل كان رسول الله هنا ، فقالت نعم كان هنا .. قال : هل رأى وجهك ؟ قالت نعم رآه ، وأطال النظر اليه ، فقال الزوج حينئذ لا عيش لى معك بعد الآن » .

هذه أكذوبة راهب (أمين) من كبرائهم .. نعتذر للقارىء عن سردها .. حتى يستبين بنفسه مدى الاختلاق والتلفيق والدس والتزوير وصفاقة التعبير ووقاحة التصوير .

ويعقب الاستاذ العقاد بقوله :

« ليس أسهل من اسقاط هذه الأكذوبة واسقاط المروجين لها ، بخبر واحد لاشك فيه — من أخبارها الكثيرة وهو أن زوجة زيد كانت بنت عمة النبى وأن النبى هو الذى زوجها من ربيبه وعتيقه زيد وهو لا يطمع الى الزواج من مثلها » .

١ — ان السيدة زينب بنت أميمة عمة النبى .. نشأت وليست بعيدة عن رسول الله .. وتربت وليست غائبة عن ابن عمها عبد الله بل كانت له معروفة الصفات ، منكشفة النقائب ، مخلوطة بالبيت المحمدى فلو رغب فيها رسول الله لكانت له بلا عجب ولا غرابة .

٢ — لكن رسول الله خطبها وهى بكر لعبده العتيق زيد بن حارثة ، وكان زيد مولى رسول الله ومتبناه يدعوه الناس زيد بن محمد .

٣ — أن عبد الله أخا زينب لما علم ضاق بالخطبة ،

وتعاظمه الأمر ، وعزت عليه قرشيته وهاشميته أن يتصل نسبه بعبد رقيق عتيق .. ولو كان متبنى لرسول الله . وما زال عبد الله ينفر وأخته زينب تأبى .. لولا أن نزل الوحى يضرب هذه العصبية ويرفض هذه الطبقية .. بقوله عز من قائل : ((**وما كان لمؤمن ، ولا مؤمنة ، اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**)) .

هنا رضى عبد الله وأذعن ، وخضعت زينب وأطاعت وتم زواج زينب بزيد .

٤ — والايمان تتفاوت درجاته ، يزيد وينقص ، فقد يغلب الطبع اذا ثخن واشتد ، وقد يغلبه الطبع اذا قل أو نقص .

لكن طبائع الزوجين لم تتحول بعد الزواج .. فزينب تعاودها النعرة والمفخرة ، وزيد يجرحه الضيق وتتحرك عزته بالاسلام ..

وكلما شكا زيد ضيقه للرسول .. قال له الرسول (أمسك عليك زوجك) — فلما فاض الكيل ونفد الصبر .. طلق زينب .

٥ — لقد شاءت حكمة الله .. أن يهدهد من صلف الطبقية فكانت تجربة زواج زيد من زينب .. وشاءت أن تقضى على عادة التبنى .. والصاق الأدعياء بالبيوت .. واعطائهم حقوق الأبناء من الميراث والنسب .. كما اعتادت العرب ..

فقال سبحانه : ((**وما جعل أدعياءكم أبناءكم — ذلكم قولكم بأفواهكم — والله يقول الحق — وهو يهدى السبيل**)) .

٦ — المسألة اذن بعد صدور حكم الله تحتاج من رسوله الى تنفيذ ماض لحكمة التشريع .. وهدم جرىء للماضى وآثاره .. واعلان لحكم الله .

٧ — لقد كان حتما على رسول الله .. أن يخلع تبنيه لزيد .. وأن يكفل ابنة عمته زينب .

وكيف يخلع تبنيه لزيد .. الا بصورة عملية تلغى كل آثار التبنى وتعارض عادة الجاهلية .

هناك كان رسول الله يدبر الأمر فى نفسه ، ويعرضه على خاطره ، ويتوقع أن الناس سيقولون : اقترن محمد بمطلقة ابنه زيد وما هكذا تعارف العرب ولا الفوا .

هذا هو التقدير الذى جال بخاطر النبى .. وتردد فيه .. وأستحق عليه عتب السماء : ((**وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس .. والله أحق أن تخشاه**)) .

٨ — ماذا يبقى بعد هذا اللوم الا أن ينهض رسول الله للزواج من ابنة عمته زينب .. ليبطل جهالة القرون فى التبنى بعدما أبطل ميراث التقاليد فى التعصب والاستعلاء .. ويضم اليه قطعة من لحمه بعيدا عن تقلبات الزمن .

وصدقت حكمة الله من قوله : ((**فلما قضى زيد منها**

وطرا زوجناكها .. لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا .. وكان أمر الله مفعولا)) .

٩ — ان زواج رسول الله من زينب آية الخلق الكريم فى نبى المسلمين الذى ارتفعت به مروءته الى حيث ينبغى أن ترتفع مروءة الأنبياء .. فأحل زيدا من حرجه وعوض زينب من مهانتها .

ان زواج محمد من زينب شهادة بالنبوة لأنها شهادة بغاية البر والاحسان .. بر محمد واحسانه الى أسير ضعيف غريب وبر محمد واحسانه الى امرأة مجروحة ضعيفة مطلقة .

* * *

بعد هذا كله كيف يكون العفيف شهويا .. والطهور نزويا .. !! ؟

وهل يعف محمد مع فورة الشباب خمسين سنة ثم يسف مع اقبال الشيخوخة ؟ .

لقد كان أعداؤه يعدون عليه الهنات والهنيات ويتتبعون سيرته فى الخلوات والجلوات فلم يجدوا أطهر منه سيرة ولا أنقى منه سريرة .

فلماذا كان اذن تعدد زوجاته ؟

كان لضرورة اقتضتها الدعوة .. وحكمة أرادها رب الدعوة .. تأكيدا لغايات كبار .

* نشر أحكام الاسلام فى نصف الأمة من الاناث .. وما يتعلق بعالم المرأة من حقوق الاستمتاع وآداب المعاشرة ومسائل الحيض والنفاس والطهارة .. على لسان زوجاته أمهات المؤمنين .. ولقد كان .

* تعليم المسلمين كيف يتسنى العدل الشامل بين زوجات عديدات — تحت سقف واحد .. فيقتدى به القادرون .. ويتحرج من عدله غير المعددين .

* اظهار استقرار البيت المسلم على ركائز الايمان والايثار والحكمة والمحبة كما تمثل فى بيت نبى ساس تسع زوجات .. فلم يؤثر عنهن خصام ولا يعرف عنهن حقد ولم يؤخذ عليهن ضجر .

* تأكيد وشائج الايمان وتوثيق أزر الأخوة مع وزيريه من بعده الصديق والفاروق .

* تخفيف وطأة العداء مع الأعداء واظهار سماحة الاسلام للأقارب والأباعد .. فتنفتح مغاليق الايمان فى صدورهم .. وتمس نسائم الدعوة حناياهم .. وقد كان مع قوم الحارث وأبى سفيان .

* * *

بقى أن نقول : ان تعدد زوجات الرسول كان قبل نزول التشريع بتحديد الجمع بين الزوجات بأربع .

فزوجاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجتمعن فى عصمته قبل التشريع ، فلما وافاه أمر الله هم أن يفارق ما زاد لولا أمر الله اليه بامساكهن .. **« ولا يحل لك النساء من بعد ـ ولا أن تبدل بهن من أزواج ـ ولو أعجبك حسنهن ـ الا ما ملكت يمينك »** .
الآية ٥٢ من الأحزاب .

فلتبق سيرتك يارسول الله ـ تعطر الأرجاء وترطب الأجواء والله يعصمك من الناس .

* * *

دفع شبهتهم فى الصلاة على النبى ..

ـ صلاة الله على عباده هداية لهم ورحمة .

يزعم المبشرون : أن صلاة الناس على رسول الله — فى وهمهم — انتقاص قدره .

* ولو علم المضللون أن بداية الاسلام دائما من منطلق التوحيد ومنطق العبودية .. لكفاهم ذلك ردا أن الاسلام لا يجعل من البشر ربا معبودا ولا ابن اله مولودا — ولا شريكا معدودا .

* ان منطق الوحدانية هو الذى أنطق محمدا بكلمات خالدات :

« لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ... »

« ان أنا الا بشير ونذير ... »

« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » .

* هذه العبودية تجعل رسولنا عبدا لله ، وأخا لعباد الله ، وأن الرسول ليجد فى مقام العبودية لله ، والوقوف بين يدى الله .. رحمة يرجو دوامها ، وراحة يود تمامها ، وانسا من كل وحشة ، وبردا من كل جفوة ، وقربا يستزيده ... ونعيما يستعيده .. فهو لذلك لربه دائم العبادة ، وللمؤمنين يقظ الريادة .

* فلا عجب أن يصلى عليه ربه سبحانه .. رحمـــة ورضـــوانا .

ولا عجب ان يصلى عليه المؤمنون والصلاة منهم دعاء ومحبـــة .

* فهل دعاء المؤمنين للأنبياء بالرحمة من واهب النعم نقيصة ؟ انها براءة للرسول من كل زيغ ، صلاة الله على نبيه .

وأنها وثيقة الحب الايمانى للرسول يرددها المؤمنون بالصلاة على الرسول .

* هكذا يبدو أن الصلاة على النبى طلب الرحمـــة ، وكذلك صلاة الله وملائكته على المؤمنين فى معنى الرحمة : عز ربنا بقوله : ((**هو الذى يصلى عليكم وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور**)) الاية ٤٣ — من الأعراف .

فصلاة الله على عباده : هى هدايته لهم ورحمته بهم ، واذا قطع الله حبل الرحمة عن عباده ، ومدد الهداية عن عبيده ، لعصيانهم وبغيهم وفسادهم وأفسادهم اشـــتدت بهم الفتن وكثرت فى قلوبهم الشبهات ، وتيسرت لهم بواعث الضلال .. وصدق ربنا : ((**فلما زاغوا .. أزاغ الله قلوبهم**)) الاية ٥ من الصف .

***

هل تأثر الإسلام باليهودية فى الأضحية والعيد !؟

— التضحية عند اليهودية .

— الأضحية فى الاسلام خالية من وساطة رجال الدين

— أعياد الطبيعة والزرع والحصاد .

من مزاعم المبشرين أن الاسلام اخذ الأضحية وفكرة العيد عن اليهودية والمسيحية .

ونقول : ان المقارنة المتئدة بين الأديان تسفر فى أمر التضحية **أولا** عن حقيقة مطردة هى ارتفاع الاسلام شأوا بعيدا فوق أرفع الآفاق التى بلغتها أطوار الدين مع ارتقاء النوع الانسانى .

ويقول الاستاذ العقاد :

« المتعجلون فى أحكامهم أن الاسلام أخذ كذا وكذا مما سبقه — ينسون أن اعتبار التطور هنا أولى من اعتبار الأرقام والتقاويم — لأن الزمن لا يسمح بظهور دين ، وانتشاره بعد دين آخر ، ما لم تكن فيه فضيلة يجدها المقبلون على الدين الجديد لم يجدوها قبل ذلك فيما تقدم من الأديان » .

والمنهج العلمى فى البحث الذى أشار اليه العقاد .. هو المنهج الأحجى والأقوم .. لاظهار الحقيقة بالمقارنة بين معنى التضحية عند اليهودية ومعنى التضحية عند الاسلام .
فالتضحية بمضمونها وأحكامها وغاياتها فى التوراة وفى التلمود تحمل فى أطوائها كل بقايا التضحية للأرباب والآلهة عند

الأديان التى قامت على عبادة الظواهر الطبيعية لا سيما ظواهر الفصول ومواسم الزراعة .

— يدل على ذلك أن التضحية عند اليهودية أو القرابين كانت من :

أ — بواكير الزراعة تارة .

ب — ومن بواكير الحيوان تارة أخرى .

— كذلك فان التضحية أو القرابين — عند اليهودية أو المسيحية كانت وتكون **ثمنا** للغفران الالهى أو **رشوة** لتسكين الغضب واستجلاب الرضا .

— ومن ناحية ثالثة فان الضحية التى يسميها الكتابيون القربان الأكبر ... تكون هذه الضحية طعاما مقدما الى الله، الذى يستسيغ — عندهم — هذا الطعام — ويفرح به — عندهم — اذا اشتمه .

أما كيف يأكل الله — تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا — هذه الأضحية أو يشم هذا القربان — فذلك جوابه عند خدام الهيكل !! .

— ونحن فى سبيل المقارنة بين الأضحية فى اليهودية والاسلام لا نتجنى ولا نتمنى .. وانما نوردها من كتبهم — دلائل على أنواع القرابين ومراسم الذبائح — وأجزاء الذبيحة

التى يرتضيها الرب ، ومقادير اللحم والشحم الباقية التى لا تكون حلالا الا للكهنة .. أو للاله الذى يتوسط الكهانة فى تقديم القرابين الى الاله الأعظم .. وذلك كله .. بعض ما ورد فى مطلع الاصحاح الأول من كتاب اللاويين :

« ودعا الرب موسى .. وكلمه من خيمة الاجتماع .. قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم :

● ان قرب انسان منكم قربانا للرب من البهائم — فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم .

● ان كان قربانه محرقة من البقر — فذكرا صحيحا يقربه الى باب خيمة الاجتماع ، يقدمه للرضا عنه أمام الرب ويضع يده على رأس المحرقة .. فيرضى عليه للتكفير عنه ويذبح العجل أمام الرب .

● ويقرب بنو هارون (الكاهن) الدم ، ويرشون الدم مستديرا على المذبح .

● ويسلخ المحرقة ويقطعها الى قطعها .

● ويجعل نارا على المذبح الى أن يقول : ويوقد الكاهن الجميع على المذبح **رائحة سرور للرب** » .

— ان المقارنة بين الاسلام وغيره فى الأضحية .. تسفر عن هذه الحقائق :

● الأولى أن الأضحية فى الاسلام ليست ثمنا لغفران الله ،

● الثانية أن الأضحية فى الاسلام خالية من وساطة رجال الدين .

● الثالثة أن الأضحية فى الاسلام ليست طعاما للرب لأن رب الاسلام يقول **(ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)** .

● الرابعة أن الأضحية فى الاسلام لا يخالطها فرح بمنظر الدم ولا احتفال برشه أو رغبة فى غمس اليدين فيه مرضاة للرب .

● الخامسة أن الأضحية فى الاسلام ليست تقربا للظواهر الطبيعية فى مواسم الحصاد أو النتاج الحيوانى .

هذه الحقائق الخمسة هى مضمون قول الحق فى سورة الحج :

« — والبدن(١) جعلناها لكم من شعائر الله .. لكم فيها خير .

— فاذكروا اسم الله عليها صواف (٢) .

فاذا وجبت جنوبها .. فكلوا منها.. وأطعموا القانع(٣) والمعتر(٤) .. كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون .

---

(١) البدن : الابل جمع بدنة .
(٢) صواف : قائمات قد صففن أيديهن وارجلهن .
(٣) القانع : الراضى .
(٤) المعتر : المتعرض بالسؤال .

— لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم .

— كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » ٣٦ — ٣٧ — من الحج .

فليتذكر المبشرون أن علم الاجتماع .. من احدث علوم المدنية والعصر يقرر أن الانسان لا يتقدم من عقيدة الى عقيدة الا اذا كانت تعلوها وتفضلها ، وأن نشوء الدين بعد الدين يكون تقويما للسابق .. وتصحيحا للماضى .. ولا يكون متأثرا به وهو المهيمن عليه .

وبعد تفنيد مزاعم التبشير فى الأضحية .. نرى .. هل أخذ الاسلام فكرة العيد من اليهودية أو من المسيحية ؟

وللاجابة على هذا السؤال .. نضع أمام القارىء .. حقائق العلوم ، علم الانسان المعروف بالانثروبولجى .. وعلم اللغة .. وعلم الاجتماع فضلا عن المقارنة بين العيد فىالاسلام وفى غيره .

أما فى علم الانسان فيستلزم للعيد ضرورتان :

١ — أن يعاد العيد فى موعد معلوم كل سنة وكل موسم .

٢ — وأن تستلزم عودته وجود مجتمع مستقر .. له علاقاته بالأرض وبالسماء وبالمكان وبالزمان .

فى علم اللغة يدور معنى العيد أحيانا على الموائد

والأطعمة — فاذا قال الانسان (أصبحت عيدا) فمعنى ذلك أنه شبع من الطعام وأمتلأ من الخيرات .. ذلك معنى يطرقه القرآن الكريم فى سورة المائدة ((**قال عيسى بن مريم — اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا ..))** ١١٤ .

وفى علم الاجتماع .. ترجع أصول الأعياد جميعها قديما الى مواسم الزراعة والرزق — ولكن الأديان ارتقت بالأعياد من معانيها المادية الى معان الهية وجعلت من معانيها مايناسب تقدم الانسان .

أ — فبنو اسرائيل تعودوا أن يحتفلوا بأعياد بواكير المحصولات أو اعتدال الطبيعة .

فعيد المظال عندهم يوافق موعد الحصاد فى ليلة البدر من شهر تشرى .

وعيد الفصح يوافق الاعتدال الربيعى من شهر نيسان .

ب — ثم تطور كل من عيد المظال وعيد الفصح الى عيدين لهما معنى الخلاص حسب موقعهما من حوادث التاريخ التى ارتبط بها بنو اسرائيل .

حـ — واحتفل بنو اسرائيل بعيد ثالث هو عيد النور فى نحو الخامس والعشرين من ديسمبر كل عام .. ابتهاجا بطول النهار وقصر الليل وانتصار النور على الظلام فيما سبق ديسمبر .

د — ثم احتفل اليهود بعيد النور لأنه وافق تاريخ اقامة الهيكل — ثم تعطل الاحتفال به فى زمن انطيوخس ابيفانس قبل الميلاد . ثم عادوا واحتفلوا به وجعلوا من هداياه عناقيد العنب وأوراق الكروم .

ولنقف وقفة قصيرة متدبرة عند عيد النور .. لنعرف حقيقتين :

الأولى : لقد كان معروفا عند الوثنيين قبل اليهود — وكان الوثنيون يحتفلون به احتفالا منكورا .

الثانية — أن المسيحية نقلت عيد النور عن الوثنيين بنفس طقوسه ثم تحولت عنه الى الاحتفال بذكرى مولد السيد المسيح .

وتتمة للبحث سنتعرف على الأعياد فى بلاد الشرق الأوسط مهبط اليهودية والمسيحية والاسلام ..

١ — لقد كانت الأعياد فى الشرق الأوسط مرتبطة بالطبيعة والزرع والحصاد ، والفلك وحساب التقاويم — ومن أهمها عيد النيروز والكفارة عند الفرس والبابليين .

٢ — ولقد كانت الأعياد فى بلاد الشرق الأقصى لاسيما الهند — مرتبطة كذلك بالطبيعة والزرع والحصاد .. ومعها أعياد جديدة تسمى أعياد الميلاد أى السلامة من الشرور والشفاء من الأوجاع خاصة سلامة الأطفال من الجدرى والحصبة .. انظر كتاب (شعائر الولادةالمزدوجة) للسيدة ستكلر ستيفنس .

٣ ـــ ثم عرف الهنود عيد الآلـــة أو الأداة .. اداة الصانع فى صناعته .. ولعل هذا العيد يفسر لنا سر اتخاذ المهاتما غاندى المغزل فى يده .. ويجعله علما على بلاده .
فهل لنا بعد هذا الاستعراض الطويل لفكرة الأعياد ان نخلص الى النتائج الآتية فى فكرة الأعياد .

الأولى : أن الديانتين الكتابيتين قبـــل الاســـلام أخذتا فكرة الأعياد عن الوثنية مباشرة فى أشكالها من عيد للطبيعة أو الزرع أو الحصاد أو السلامة .. وهى الأعياد التى لا تزال باقية عندهم الى اليوم وعليها ملامح الوثنية . حتى عيـــد السلامة الذين يطلقون عليه Holiday اى يوم السلامة .

الثانية : أن الاسلام رفض الأعياد التى تقدس الأرباب أو تمجد الجسد ، وأستنفذ الأعياد من نهم البطون وشهوة الغريزة واشراك العقيدة ـــ الى معنى العيد الذى يحتفى بخير النفس ونقاء الضمير وخير كل الناس من اجـــل رب النـــاس .

أبعـــد هـــذا .. يقال أن الاسلام اخذ فكرة الأعياد عن اليهودية والمسيحية .. !!

فماذا بعد الحق الا الضلال .

* * *

مصـــادر البحث

١ ـــ القـــرآن الكريم

٢ ـــ صحيح البخـــارى

٣ ـــ تفسير الفخـــر الرازى

٤ ـــ تفسير البيضـــاوى

٥ ـــ أســـاس البـــلاغة
الزمخشرى

٦ ـــ النحـــو الوافى
الاستاذ عباس حسن

٧ ـــ أدلـــة اليقـــين
الشيخ عبد الرحمن الحريرى

٨ ـــ دعـــوة الحـــق
الأستاذ منصور حسين عبد العزيز

٩ ـــ القصص الهادف فى سورة الكهف
الشيخ محمد محمد المـــدنى

١٠ ـــ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه
الأستاذ عباس العقاد

١١ ـــ ما يقال عن الاسلام
الأستاذ عباس العقاد

١٢ ـــ الاســـلام دعوة عالميـــة
الأستاذ عباس العقاد

١٣ ــ مؤامرات ضد الأسرة المسلمة
الأستاذ محمد عطية خميس

١٤ ــ الاسلام نظـــام انسانى
الدكتور مصطفى الرافعى

١٥ ــ خاتم المرسلين حياة ورسالة
الدكتور يوسف عبد الهادى الشال

١٦ ــ المعجزة الكبرى : القـــرآن
الشيخ محمد أبو زهرة

١٧ ــ نور الحى القيـــوم
الأستاذ أحمد عبد المنعم الحلوانى

١٨ ــ أوربا والاسلام :
للامام الأكبر د . عبد الحليم محمود

١٩ ــ محمد رسول الله :
اتين دينيه : د . سليمان ابراهيم ــ ترجمة :
الامام د . عبد الحليم محمود و د.محمد عبدالحليم

محتويات الكتاب

الموضـــوع — الصفحة

الموضـــوع — الصفحة